على طريق التربية

تربية البنات

في

وصايا الآباء والأمهات

(وصايا أنبياء وعلماء و أدباء و أمهات لبناتهم)



أحمد حسن الخميسي

ناشرون

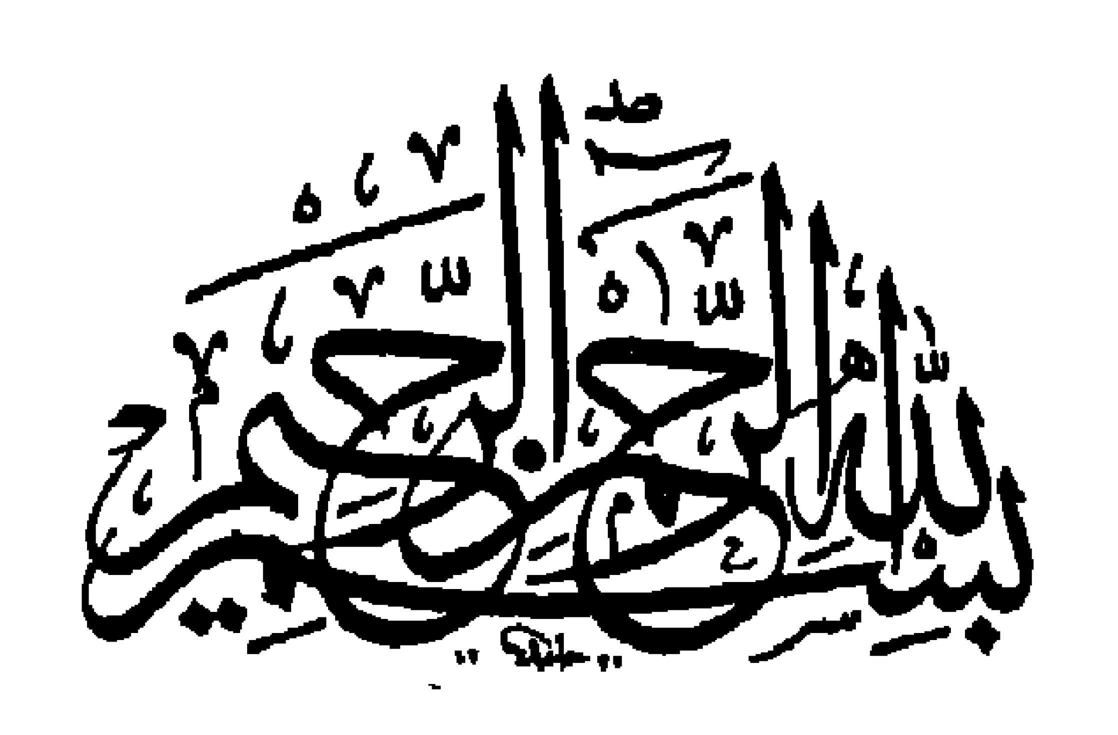
دار الرفاعي للنشر

دار القلم العربي

تربيــة البنات

في

وصايا الآباء والأمهات



على طريق التربية

تربيــة البنات



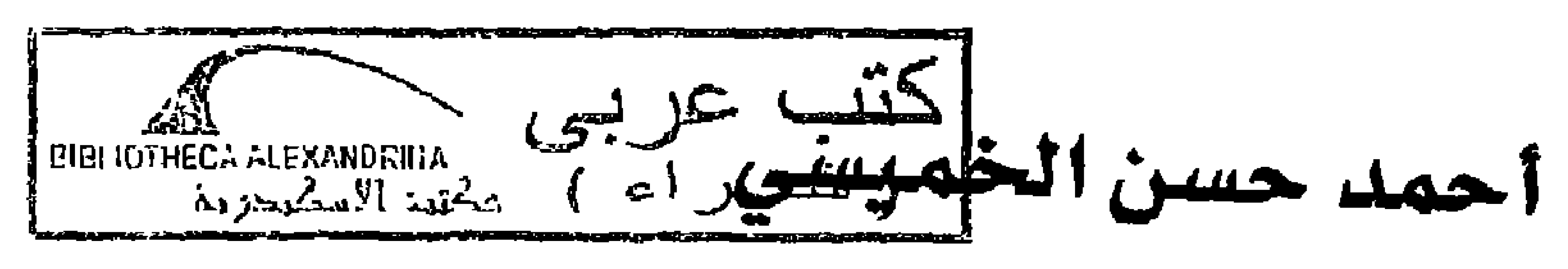
في

وصايا الآباء والأمهات

(وصايا أنبياء وعلماء وأدباء وأمهات لبناتهم)

تأليف

أحمد حسن الخميسي



دار القلم العربي

دار الرفاعي للنشر

تربية البنات في وصايا الآباء و الأمهات
تأليف : أحمد حسن الخميسي
دار النشر : دار القلم العربي – دار الرفاعي للنشر
الطبعة الأولى
2007 م-١٤٢٨ هـ

دار الرفاعي للنشر – سوريا – حلب
خلف الفندق السياحي – ص .ب :78
هاتف : 00963 21 2122599
www.qalamarabi.com

دار القلم العربي – سوريا – حلب
هاتف : 00963 21 2113129
فاكس : 00963 21 2212361
e-MAIL :qalamrab@scs-net.org





المقدمة

إذا كانت الأسرة بستاناً، فالأولاد أشجارها، وإذا كانت شجرة فهم ثمارها، وإذا كانت سماء فهم نجومها.

إنهم أزهار الحاضر وأمل المستقبل، يحنو عليهم الآباء، ويقدمون كل ما لديهم من طاقات وإمكانات وأفكار لتنشئتهم تنشئة سوية، وتربيتهم تربية فاضلة قائمة على العلم والإيمان والأخلاق الحميدة.

وإذا كان معظم الناس يسرون لولادة الصبي، وينزلونه منزلة لائقة أكثر من سرورهم من ولادة البنت، إلا أنهم يربُّون البنت تربية خاصة، ويولونها رعاية تتماشى مع أنوثتها منذ الصغر حتى تدخل عش الزوجية حاملة رسالة الأمومة بعد مغادرتها أسرتها التي درجت في كنفها وترعرعت في رحابها، وهذا الاهتمام تدعو إليه أمور تتعلق بصيانة البنت وشرفها وسمعتها ومكانتها الأسرية والاجتماعية..

وتتخذ الأسرة كافة الأساليب في القيام بتربية البنات التي تعتبرها واجباً يقع على عاتقها، يُطلب منها أن تؤديه على أكمل وجه، ومن هذه الأساليب النصائح والإرشادات والوصايا.

وقد قرأنا وصايا الآباء والأمهات في الكتب منذ القديم وحتى الآن، وسمعناها ولازلنا نسمعها في كل بيت يضم بين جنباته بنات صغيرات أو كبيرات...

وهذه الوصايا قد تكون مباشرة بصيغة (افعلي أو لا تفعلي) أو غير مباشرة بالإشارة أو بالتلميح دون التصريح، وقد تستخلصها البنات من القصص التي تصل إلى أسماعهن هنا وهناك، أو يقرأنها في الكتب والمجلات، أو يشاهدنها على إحدى الشاشات أو القنوات الفضائية.

ولكي تكون هذه الوصايا والنصائح القيّمة بين أيدي بناتنا وفتياتنا، قمت بجمع وصايا الآباء والأمهات والعلماء والأدباء للبنات، وقد بلغت عشرات

الصفحات، في هذا الكتاب، وكتبتُ حولها دراسة بعنوان: «تربية البنات في الوصايا» تحدثت فيها عن مفهوم البنوّة، وأهداف الوصايا، وموضوعاتها، وخصائصها.

واستكمالاً لهذه الوصايا، أَثْبَتُّ في الفصل الأخير قصصاً عن البنات الذكيّات التقيات، لتتخذ منها الفتيات العبر والعظات، وتستخلص منها الدروس المفيدة في مسيرة الحياة.

ولكي أبيّن مدى تعلق الآباء والأمهات ببناتهم وتفانيهم في حبهن والاعتناء بهن، أفردت الفصل الأول للحديث عن «البنات الصغيرات في حياة الأسرة».

إن لهذه الوصايا التربوية أهمية كبيرة لأنها صادرة من أنبياء مرسلين، وعلماء مُبجَّلين وأدباء مفوَّهين، أو من أمهات حكيمات عطوفات، صقلتهن الخبرة والتجربة...

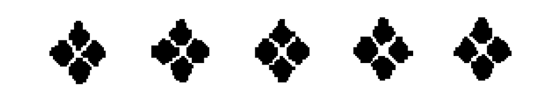
وقد شملت هذه الوصايا موضوعات شتى، فحضت على التزيُّن بالفضيلة والتزام الأدب والحياء، ودعت للقيام بالواجب، وأهابت بالبنات أن يتأهبن للزواج، ويظهرن بمظهر جميل في حفلة الزفاف، ويقمن بما عليهن تجاه أزواجهن، وبيوتهن وأولادهن.

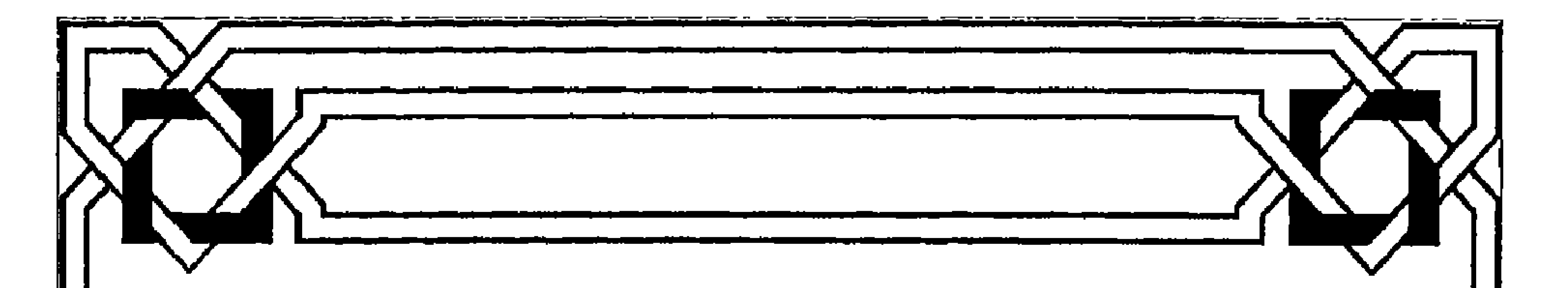
وثمة وصايا عامة أراد بعض الآباء أن يرسموا لبناتهم بها معالم الحياة الصحيحة والكريمة في هذا الزمن الصعب، فدعوهنّ للنجاح في طلب العلم، وحسن السلوك الأسري والاجتماعي، ووضعوا لهن في هذه الوصايا منهجاً للتعامل مع الرجال ولاسيما الزوج شريك العمر.

إن قارئ هذا الكتاب سيجد فيه الكثير عن تربية البنات والعناية بهن، وهو دليل ورائد لكل الفتيات اللواتي ينشدن مستقبلاً زاهراً باهراً.

وأخيراً أسال الله تعالى أن تجد هذه الوصايا التربوية آذاناً صاغية وقلوباً واعية، تتدبَّرها وتحوِّل ما فيها إلى سلوك عملي يرفعها وينفعها في الدنيا والآخرة...

أحمد حسن الخميسي



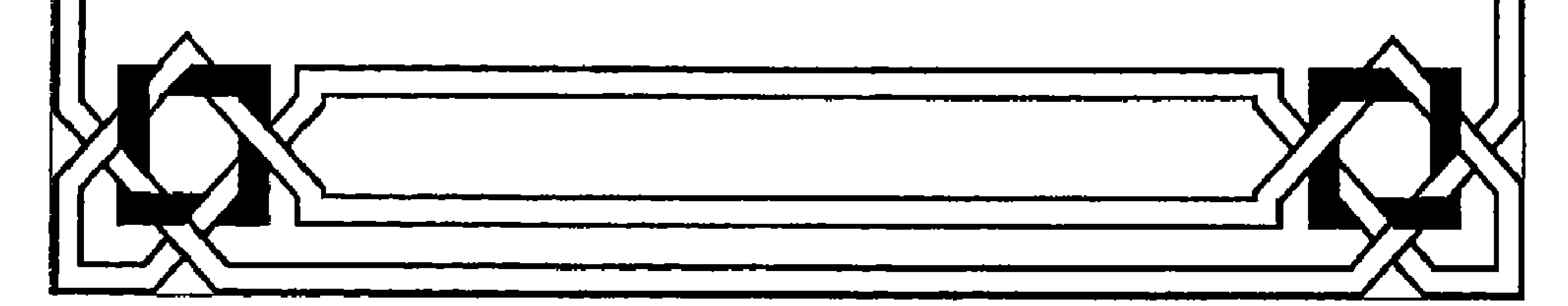


الفصل الأول

البنات الصغيرات في حياة الأسرة

- ١. صورة ميّ.
- ٢. الأب وطفلته الحبيبة.
- ٣. الآباء والأمهات قدوة للبنات.
- ٤. الفراشة ابنة الشاعر.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖



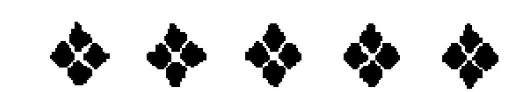
صورة ميّ[1]

مَيٌّ في الثامنة من عمرها، ذات بشرة سمراء زاهية كسنابل القمح، وخدين حمراوَيْن بلون الشقائق، وفم وردي عجيب في صغره نحيف لطيف حتى ليحسب الناظر عن بعد إلى مي أن هناك حبة كرز حمراء في صفحة وجهها البيضاء.

وحاجبا مي قوسان مشدودتان مقفلتان فوق أنفها الصغير... وعيناها... آه من عينيها الصغيرتين! كاللوزتين الكبيرتين كالعالَم بما في هذا العالَم من كواكب وأزهار وأنوار وشواهق وبحور...

أما شعرها فأسود لماع متجعد غزير قصير إلى ما فوق عنقها الصغير، ولو تُرِك شعر ميّ مُذْ ولدت لكان اليوم كالحبال المدلاة، ولكن المقص لا يبرح يمرٌّ فوق تلك الذؤابات[2] الجميلة.

ميّ تدخل سريرها الساعة السابعة، وكثيراً ما يقهرها سلطان النوم قبل أن تنتهي من صلاتها الصغيرة، وهي طروبة ترن ضحكتها الغالية في جوانب الدار كأجراس العيد، لعوب[3] لا تعرف الراحة إلى أن يجيء أوان النوم....



---

(١) ميّ: نص نثري للسيدة سلمى جبران صايغ (١٨٨٩-١٩٥٣) م كاتبة وخطيبة وأديبة. ولدت في بيروت. حررت مجلة «صوت المرأة» من آثارها: ١- النسمات. ٢- بعض أعمال الرحمة في لبنان. ٣- فتاة الفرس.

(٢) الذؤابات: ج الذوابة: وهي شعر مقدّم الرأس.

(٣) لعوب: ج لعائب: من كانت رشيقة الحركات حسنة الدلال «فتاة لعوب».

الأب وطفلته الحبيبة(١)

يحلو لي عندما تعتريني هزة شعورية، أن أمسك بيدي رأس ابنتي الصغيرة، متفرساً في عينيها الزرقاوين برهة، ثم يغلبني الحنان وحب الوالد، فأطبع في كلتيهما قبلة خفيفة استلُّها من حشاشتي فيها معنى بقائي، وسرُّ وجودي، فترف عندئذ عينا طفلتي معبرتين برفيفهما الزئبقي عن عاطفة بدائية، غامضة هي مزيج من الزهو والأنانية والفتنة، ثم لاتلبث أن تفلت مني، فأشَيِّعُها بنظري مردداً:

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا   أكبادنـا تمشـي علـى الأرضِ
لو هبَّتِ الريحُ على بعضهم   لامتنعتْ عـيني عـن الغمـضِ

تلك حالي وحال كل أب خُلِق مثلي رحيماً عطوفاً ضعيفاً بل هلوعاً أمام هذه الرابطة الحيوية الأزلية التي منها ينبع كل حب، وينبثق كل عطف.

❖ أي طفلتي ريمة!

إني لسعيد بك سعادة لا يَعْدِلُها شيء من حطام هذه الدنيا الفانية، فأنت سِراجٌ من سُرُجٍ خمسة تضيء لي طريقي في ديجور الحياة، وأنتِ ـ بعد الخالق ـ رجائي عندما تَدْلَهِمُّ الخطوب، وتعصف بأبيك هموم العيش وأوهامه، ويضيق ذرعاً بهذا الزمان النكد وأهله، بل أنتِ الوجه الوضاء عندما تعبس الوجوه، ويزوي ما بين عينيه الحسود، ويقطب جبينه الكاشح المبغض، وينفث سمَّهُ العدوُّ اللدودُ، ويكشر عن أنيابه الكذاب المرائي!

---

(١) للدكتور إبراهيم الكيلاني ولد في دمشق ١٩١٢م حصل على الدكتوراه من السربون عام ١٩٣٣م حاضر في جامعة دمشق، وعمل مديراً للتأليف والترجمة في وزارة الثقافة له أكثر من عشرين كتاباً في التأليف والترجمة والتحقيق منها كتاب (الأوراق) طبعته وزارة الثقافة السورية عام ٢٠٠٣م ومنه هذا المقالة صفحة ٥٧.

أنتِ فلذة كبدي، وأخوك بقيتها وقطعة من قلبي، وأخواتك بقيته، وجزء من وجداني وأخواتك بقية أجزائه، إني أرقبك بعين العطف والإشفاق في مرحك وعبثك وفرحك وحزنك وغضبك ورضاك، فأنت جميلة وديعة حلوة في جميع حالاتك، حتى في أوضاع نومك عندما تستسلمين لنوم ملائكي بريء، وقبضتاك مقبوضتان ومرفوعتان إلى العلاء.

جميلة أنتِ في بكائك وصراخك، ذلك السلاح الرهيب الذي تلجئين إليه، كلما أصابك أذى، أو أردت الإفصاح عن إرادتك، فنسارع إلى نجدتك لا بدافع من نداء الغريزة فحسب بل بدافع الأنانية الكافية في أعناق والديك، فصراخك صراخنا، وألمك ألمنا، فكأنك بذلك قد وضعت من سمعوا صوتك في حالة شبيهة بالحالة التي تشكين منها.

أنت جميلة في لعبك وعبثك ومللك، فلكل شيء عندك فرحة واهتمام حتى إذا حصلت عليه ذهبت طرافته فراح ضحية الملل، فلذا أراك وراء كل جديد، لا تكلين ولا تفترين، وما أكثر الفرق بيننا، فأنت لم تصابي مثلنا، نحن الكبار، بالسأم والتعب من النظر إلى الأشياء، ولم يتطرق الصدأ والاهتراء إلى غريزة التطلع والتطفل فيك، وأنت في حركة دائمة، والتطواف في حجرات الدار والمطبخ وفي كل ركن من أركان البيت، وإذا أعوزك المدى الحيوي تسللت إلى الجيران سعياً وراء الجديد، وطلباً لكل جدير بالاهتمام.

أنت جميلة في حضورك وغيابك، لأنني أشعر في الحالة الأولى بأنس وجودك، وتتوق نفسي في الثانية إلى فرحة اللقاء، واستعجال المواجهة، وأنت، وإن لم تكوني وحيدة أبويك، فإنك كذلك، وقد صدق فينا الشاعر حين قال:

ولي واحد مثل فرخ القطا ... فيحنو عليَّ وأحنو عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه إليَّ ومني إليه

أنت جميلة في حالاتك الانفعالية والعاطفية الحادة، الصافية، الشفافة، البلورية، الوردية النضرة كخديك، جميلة حتى في مرضك، ويالقلوب الآباء والأمهات عند مرض الصغار، لأنه يفرج عما احتبس في صدري من الحنان

المكبوت، فإذا مرضتِ مرضتُ وأمُّك وأخواتُك معك، فعمَّ السكون أرجاء البيت، وساد الوجوم وكتمنا أنفاسنا، ولقطنا خطواتنا لقطاً، فلا حركة ولا ضوضاء، وتناوبنا السهر حول سريرك، يعترينا اليأس والجزع تارة، والأمل تارة أخرى، حتى إذا ولى الداء مع الصباح انفرجت الوجوه، وعمت الفرحة والبشاشة، وعادت الطمأنينة إلى أهل الدار، فكأن الشاعر قد عنانا عندما قال مخاطباً ولده العاق:

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت ... لشكواك إلا ساهراً أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيني تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل

أيُّ سر فيك، بل أي سحر ينبعث من عينيك؟ هل أنت ساحر ماهر، أو خطيب بليغ يحدث في مستمعيه انفعالاً يسري بين صفوفهم سريان الكهرباء، فتجعلهم طوع إرادته ورهن إشارته؟ أم نول صغير للعواطف ينسج لنا شركاً نقع في حبائله حتى نغدو أسرى لا نستطيع فكاكاً؟

أنت هذا كله، بل أذهب بعيداً فأقول: إن الله زوَّدك كأمثالك من الأطفال بطاقة جعلت منك ينبوعاً ذاتياً للعواطف.

إن الهزات والانفعالات تتسللون بها إلى قلوب آبائكم وأمهاتكم، فتخضعونهم لإرادتكم، جاعلين منهم أطفالاً كباراً جديرين بالرعاية والإشفاق مثلكم! إني لا أزال أذكر يا طفلتي الحبيبة صورة في أحد كتب التاريخ تمثل أحد الملوك وقد امتطى ولداه ظهره، وهو يزحف بهما، وهما على ظهره فرحين مزهوين... [1].

تلك هديتي إليك وإلى كل أب في يوم الطفل، يوم الأمل والرجاء والإنسانية..

---

(١) روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما، وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما».

وروى البزار عن سعد بن أبي وقاص قال: دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: «ومالي لا أحبهما؟! وهما ريحانتاي».

الآباء والأمهات قدوة للبنات

كتب الدكتور الأديب «طه حسين» إلى ابنته يحدثها عن حياته وسيرته لتحذو حذوه وتترسم خطاه، وهو يعلم «أن كل فتاة بأبيها معجبة».

فقال لها[1]:

إنك يا بنتي لساذجة سليمة القلب طيبة النفس. أنت في التاسعة من عمرك، في هذه السن التي يعجب فيها الأطفال بآبائهم وأمهاتهم، ويتخذونهم مُثُلاً عليا في الحياة؛ يتأثَّرونهم[2] في القول والعمل، ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء، ويفاخرون بهم إذا تحدثوا إلى أقرانهم أثناء اللعب، ويخيَّل إليهم أنهم كانوا أثناء طفولتهم كما هم الآن مُثُلاً عليا يَصْلُحون أن يكونوا قدوة حسنة وأسوة صالحة.

أليس الأمر كما أقول؟ ألستِ تَرَينَ أن أباك خيرُ الرجال وأكرمهم[3]؟.

ألست ترين أنه قد كان كذلك خير الأطفال وأنبلهم؟ ألستِ تحبين أن تعيشي كما كان يعيش أبوك حين كان في الثامنة من عمره؟ ومع ذلك فإن أباك يبذل من الجهد ما يملك وما لا يملك، ويتكلف من المشقة ما يطيق وما لا يطيق، لِيَجنُبَكِ حياته حين كان صبياً.

لقد عرفْته يا بنتي في هذا الطَّور من أطوار حياته، ولو أني حدثتك بما كان عليه حينئذ لكذَّبتُ كثيراً من ظنك، ولخيبت كثيراً من أملك، ولفتحتُ إلى قلبك الساذج ونفسك الحلوة باباً من أبواب الحزن، حرام أن يفتح إليهما وأنت في هذا

---

(١) طه حسين ـ كتاب الأيام الجزء الأول صفحة ١٤٥ الطبعة الثانية والخمسون دار المعارف بمصر /١٩٧٤/م ـ.

(٢) تأثَّره: تبع أثره

(٣) طه حسين يتحدث عن نفسه في هذه الرسالة بلسان الغائب فهو يحدث البنت عن أبيها وهو نفسه أبوها...

الطور اللذيذ من الحياة، ولكني لن أحدثك بشيء من هذا حتى تتقدم بك السن قليلاً، فتستطيعين أن تقرئي وتفهمي وتحكُمي، ويومئذ تستطيعين أن تعرفي أن أباك أحبك حقاً، وجدَّ في إسعادك حقاً، ووُفِّق بعض التوفيق لأن يَجنُبَك طفولته وصباه.

ـ نعم يا بنتي، لقد عرفتُ أباك في هذا الطور من حياته، وإني لأعرف أن في قلبك رقة وليناً، وإني لأخشى لو حدثتك بما عرفت من أمر أبيك حينئذ أن يَمْلِكَكِ الإشفاق وتأخذك الرأفة فتجهشي بالبكاء.

لقد رأيتك ذات يوم جالسة على حِجْر أبيك وهو يقص عليك قصة «أوديب ملكاً» وقد خرج من قصره بعد أن فقأ عينيه لا يدري كيف يسير، وأقبلت ابنته «أنتيجون» فقادته وأرشدته. رأيتك ذلك اليوم تستمعين هذه القصة مبتهجة من أولها، ثم أخذ لونك يتغير قليلاً قليلاً، وأخذتْ جبهتك السمحة تَرْبَدُّ[1] شيئاً فشيئاً.

وما هي إلا أن أجهشت بالبكاء وانكببتِ على أبيك لثماً وتقبيلاً، وأقبلتْ أمك فانتزعتك من بين ذراعيه، وما زالت بك حتى هدأ روعك، وفهمتْ أمك وفهم أبوك وفهمتُ أنا أيضاً أنك إنما بكيت لأنك رأيت أُوديب الملك كأبيك مكفوفاً لا يبصر ولا يستطيع أن يهتدي وحده، فبكيت لأبيك كما بكيت «لأوديب».

نعم! وإني أعرف أن فيك عبث الأطفال وميلهم إلى اللهو والضحك وشيئاً من قسوتهم، وإني لأخشى يا بنتي إن حدثتك بما كان عليه أبوك في بعض أطوار صباه أن تضحكي منه قاسية لاهية، وما أحب أن يضحك طفل من أبيه، وما أحب أن يلهو به أو يقسو عليه، ومع ذلك فقد عرفتُ أباك في طور من أطوار حياته أستطيع أن أحدثك به دون أن أثير في نفسك حزناً، ودون أن أغريك بالضحك أو اللهو.

عرفته في الثالثة عشرة من عمره حين أرسل إلى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر، إنْ كان في ذلك الوقت لصبي جد وعمل...

تراه على ما هو عليه من حال رثة[2] وبصر مكفوف، واضح الجبين مبتسم

---

(١) تربد: تتغير وتعبس.

(٢) حال رثة: سخيفة.

الثغر مسرعاً مع قائده إلى الأزهر، لا تختلف خطاه، ولا يتردد في مشيته، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التي تغشى[1] عادة وجوه المكفوفين، تقتحمه العين ولكنها تبتسم له وتلحظه في شيء من الرفق، حين تراه في حلقة الدرس مصغياً كله إلى الشيخ يلتهم كلامه التهاماً، مبتسماً مع ذلك لا متألماً ولا متبرماً[2] ولا مظهراً ميلاً إلى لهوه على حين يلهو الصبيان من حوله أو يشرئبون إلى اللهو[3].

ـ عرفته يا بنتي في هذا الطور، وكم أحب لو تعرفينه كما عرفته، إذن تقدرين ما بينك وبينه من فرق، ولكن أنى لك هذا وأنت في التاسعة من عمرك ترين الحياة كلها نعيماً وصفواً.

عرفته ينفق اليوم والأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لوناً واحداً، يأخذ منه حظه في الصباح، ويأخذ منه حظه في المساء لا شاكياً ولا متبرماً ولا متجلداً ولا مفكراً في أن حاله خليقة بالشكوى، ولو أخذت يا بنتي من هذا اللون حظاً قليلاً في يوم واحد لأشفقتْ أمك عليك ولقدمت إليك قدحاً من الماء المعدني، ولانتظرت أن تدعو الطبيب.

لقد كان أبوك ينفق الأسبوع والشهر لا يعيش إلا على خبز الأزهر، ويل للأزهريين من خبز الأزهر...

وكان ينفق الأسبوع والشهر والأشهر لا يغمس هذا الخبز إلا فيْ العسل الأسود، وأنت لا تعرفين العسل الأسود، وخير لك ألا تعرفيه.

كذلك كان يعيش أبوك جاداً مبتسماً للحياة والدروس، محروماً لا يكاد يشعر بالحرمان، حتى إذا انقضت السنة وعاد إلى أبويه، وأقبلا عليه يسألانه كيف يأكل؟ وكيف يعيش؟ أخذ ينظم لهما الأكاذيب، كما تعوَّد أن ينظم لك القصص، فيحدثهما بحياة كلها رغد ونعيم، وما كان يدفعه إلى هذا الكذب حبُّ الكذب، إنما كان يرفق بهذين الشيخين، ويكره أن ينبئهما بما فيه من حرمان، وكان يرفق

---

(١) تغشى: تغطي.

(٢) متبرماً: متضجراً.

(٣) اشرأب: رفع رأسه ومد عنقه لينظر ويعني هنا يتطلعون.

بأخيه الأزهري، ويكره أن يَعْلم أبواه أنه يستأثر دونه بقليل من اللبن، كذلك كانت حياة أبيك في الثالثة عشرة من عمره.

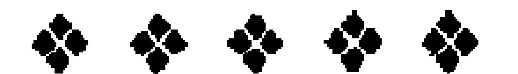
ـ فإنك إن سألتني كيف انتهى إلى حيث هو الآن؟ وكيف أصبح شكله مقبولاً لا تقتحمه العين ولا تزدريه[1]؟ وكيف استطاع أن يهيئ لك ولأخيك ما أنتما فيه من حياة راضية؟ وكيف استطاع أن يثير في نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقد وضغينة، وأن يثير في نفوس ناس آخرين ما يثير من رضا عنه وإكرام له وتشجيع، إن سألت كيف انتقل من تلك الحال إلى هذه الحال؟ فلست أستطيع أن أجيبك!

إنما هناك شخص آخر هو الذي يستطيع هذا الجواب، فسليه ينبئك.

أتعرفينه؟ انظري إليه! هو هذا المَلَك[2] القائم الذي يحنو على سريرك إذا أمسيت لتستقبلي الليل في هدوء ونوم لذيذ، ويحنو على سريرك إذا أصبحت لتستقبلي النهار في سرور وابتهاج، ألست مدينة لهذا المَلَكِ بما أنت فيه من هدوء الليل وبهجة النهار؟!

ـ لقد حنا يا بنتي هذا المَلَكُ على أبيك، فبدله من البؤس نعيماً، ومن اليأس أملاً، ومن الفقر غنى، ومن الشقاء سعادة وصفواً.

ليس دَيْنُ أبيك لهذا الملك بأقل من دَيْنِك، فلتتعاونا يا بنتي على أداء هذا الدَّين؛ وما أنتما ببالغين من ذلك بعض ما تريدان[3].



(١) تقتحمه العين: تحتقره.

(٢) الملَك: هنا هو أم البنت (أي زوجة طه حسين).

(٣) في هذه الرسالة يوجد وصايا للبنات غير مباشرة إذا قرئت بتمعن وتدبر.

الفراشة... ابنة الشاعر[1]

مشرقَ الوجهِ بالبسمة الراضية التقيته.

ونقف إلى جانب الرصيف، وسط الضجيج والزحام، نتبادل السؤال عن البيت والعمل والأسرة والأولاد.

ـ ابنتي مريضة.

ـ أي بناتك.

ـ الصغرى، تلك التي دعوتها ذات يوم الفراشة. وأعلق مُطَمْئِناً:

ـ الأولاد دائماً يمرضون.

ـ ولكن هذه مرضها...

ويصمت هنيهة، وقبل أن أساله، يجيب:

ـ منذ عشرين يوماً، وهي راقدة في المستشفى.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وهو يتلو علي القصيدة، ينفتح الباب المفضي إلى الداخل، وتهفو إلينا فراشة حلوة كالعسل، بيضاء الوجه كالحليب، خصلات شعرها تنوس كالموسيقا، وهي تلثغ بالحروف، تغرّد غناء أبيض: بابا.. بابا، تندغم رشاقتها في صوته، يفتح لها ذراعه، يضمّها إليه، عيناها بسمتا قرنفل، يداها الناعمتان تتشبثان بيده، خصلات شعرها ترف على القصيدة. داخل حجرته الضيقة كنت أحس بالاختناق.

تحت السقف داخل فضاء الجدران الكئيبة تدور المروحة تهتز، وعند كل دورة تئز، أحس كأنها تشرف على السقوط.

---

(1) الفراشة... ابنة الشاعر: قصة للدكتور أحمد زياد محبك وردت في صفحة ٨١ من مجموعته القصصية عريشة الياسمين. دار القلم العربي ـ حلب ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

الحجرة مغلقة، ثمة باب يفضي إلى الداخل، وآخر يؤدي إلى الخارج. العرق يرشح على جبهتي.

ثمة في الداخل على ما يبدو غرفة واحدة، والأولاد هناك يضجون. مصباح ناتئ في الجدار، وفي الزاوية طاولة غصت بالأوراق والصحف والمجلات في تراكم عجيب.

ويدخل علي وهو يحمل القهوة:

ـ آسف لتأخيري.

ويقدم إلي القهوة، ثم يبحث تحت الأريكة القديمة عن شيء ما يضع عليه الفنجان. ومن بين ركام الأوراق والصحف والمجلات يستل وريقة صغيرة ويهمس:

ـ سأتلو عليك آخر قصيدة كتبتها...

أمسح العرق عن جبيني، أرشف قهوتي.

أَلَقٌ باسمٌ يشع في العينين، وجبين ناهض، وصوت بعيد بعيد.

تغيب الجدران والمروحة والعرق، لا يبقى غير الشعر.

ثم تدخل علينا ابنته... فراشة بيضاء، ترف في فضاء الحقول المخضوضرة، تسبح في ضياء الشمس، ترشف العبير، وتتراقص قطرات الندى ويفيض الكون بهاء.

القهوة وعيناها والقصيدة إيقاعات متلاحمة تنسج كياني من بيته الضيِّق الخانق الكئيب المكتظ بالأولاد والفقر، أَخْرُجُ مَرِحَ الفؤاد، وقد صُبَّتْ في روحي ألف روح، وقد غرست في جوانحي آلاف الأجنحة، أخرج وأمامي تنداح آفاق وآفاق، فلا جدران ولا آلام ولا ولا...

ـ كم ولداً عندك؟

ـ سبعة.

ـ وهذه الفراشة؟

ـ الثامنة.

ـ يبدو أنك تحبها أكثر؟

ـ ربما.

ـ ولكن الحياة قاسية، وتكاليفها..؟!

ـ نحن نعيش بالرضا.

الوجنتان غور ونتوء، والعينان ألق وحياة، والصوت دائماً قصيدة جديدة، ترفّ كفراشة تسبح في النور.

كلما افتقرتُ، أزوره، لأخرج من بيته وفي قلبي روح جديدة.

واليوم التقيته وابنته مصابة بورم خبيث في الدماغ، والبسمة الراضية تملأ وجهه:

ـ سأزورها غداً في المستشفى.

وأشد على يده مودعاً وأمضي في الزحام. لا أعرف سر ذلك الرضا، ولا أفقه معناه.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

البهو مغلق... في البهو أبواب كثيرة ولكن كلها مغلقة.

ثمة أريكة خشبية من خشب بَحْتٍ، لا جلد ولا قماش ولا شيء من نسيج.

في زاوية البهو وحده. وجهه هو نفسه، وإن ازداد فيه الغور والنتوء والشحوب، لم يأكل منذ شهر. ولكن الجبهة زادت شموخاً وزاد الألق في العينين. لم أطق القعود.

بضع دقائق مرت، هذه المرة العرق يرشح حقيقة، من كل المسام والزوايا في جسدي روائح الأدوية تجعل المكان يدور... ممرض يدخل حاملاً كيس دم...

في الدقيقة الخامسة أغادر المكان. لا أكاد أصدق، الفراشة هناك في الداخل، خصلات الشعر الأشقر تذوب، الورم في الدماغ يمتص كل شيء.

وأنا أغادر المستشفى ألتقي أحد الأصحاب، نقف على الرصيف هنيهة.

ـ هل ثمة أمل؟.

ـ أبداً.

ـ ويعرف هو ذلك؟

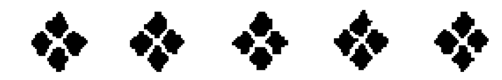
ـ بالطبع.

ـ كم كلفت العملية؟

ـ مجموع رواتبه طول الخمس والعشرين سنة التي أمضاها معلماً لاتسدّ سوى... وأمضي، وفي الأعماق ما يزال صوته ينداح:

ـ القصة طويلة، لا أريد أن أشغلك بها وأزعجك. ألمح في جيب قميصه أوراقاً كثيرة مطويّة، لعلها وصفات طبية، أستشف فيها خطه المتميز، لا أشك في أن قصائد كثيرة قد انهمرت.

وأنا أغادر البهو، شددت على يده مودّعاً، حاولت أن أهمس ببضع كلمات، فوجدت صوته يغلبني ليقول وهو يبتسم: أنا راضٍ.



وأنا خارج من المصرف أراه على الرصيف.

ضجيج السيارات وسخام عادماتها[1] والزحام الخانق سياط أخطبوط تمتص دمي. يمد يده إليَّ مصافحاً والبسمة كالربيع تملأ وجهه.

يدعوني إلى فنجان قهوة.

مع أني دخلت المقهى نفسه مرات كثيرة، وقعدت أمام الطاولة نفسها من قبل مرات ومرات، بعت واشتريت وربحت وخسرت وضاربت وساومت وغضبت وفرحت والتفَّ حولي التجار والمرابون والسماسرة، مع ذلك كله، أشعر كأنني أدخل المقهى لأول مرة.

في هذا الركن نلتقي كل يوم، هذه هي طاولتنا، نتحدث في شؤون الشعر والأدب. ولكنني مجرد تاجر، وما أنا بشاعر.

ـ ولكنك تحمل في داخلك روح شاعر، يكفي أنك تحب الشعر وتستمع

---

(١) عادمات: ج عادمة: وهي أنبوبة احتراق الوقود في السيارة.

إليه. هكذا يكلمني، وهكذا كان قد كلمني قبل عشرين سنة، أول تعرفي إليه، حسبته يسخر مني، كنت أظنه يحقد علي، لم أحمل في جيبي قط قصاصة من مجلة أو جريدة، ولم أحفظ بيت شعر، ذاكرتي محشوة بأرقام الحسابات والهواتف ومضاربات الأسعار، ولكن طوال عشرين سنة تأكد حبُّه لي كحبه للشعر.

ليته يكتب عني قصيدة، يهجوني بها، أو يرثيني، ليته يعلم ضائقتي، الضرائب تراكمت علي وتضاعفت، وأنا أرفع السماعة أطالب هذا وذاك، أموالي مبعثرة هنا وهناك، ولا أحد يسدد أو يدفع، وأنا أشتم وألعن وأصرخ... وأسأله:

ـ كيف الفراشة.

ـ اليوم خرجت من الغيبوبة، بعد عشرة أيام، فتحت عينيها بهدوء مثل شقشقة الفجر، والتفتت برأسها نحوي قليلاً، وحركت شفتيها، كأنها تهمس بابا أو ماما.

ـ وهل من جديد؟

ـ دائماً عندي كل جديد، هذه قصيدة للفراشة، ليس ابنتي فقط، بل كل فراشات العالم، لكل طفلة مريضة، لكي تعدو وتلعب. يأتي النادل، أهم بدفع ثمن القهوة، ولكن يده تمسك يدي. وأنا أودعه، أتملَّى وجهه.

الحياة تفيض بها عيناه، وبسمته تملأ الكون نوراً وبهجة.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

داخل فضاء الجدران الحزينة تدور المروحة ببطء وهي تئز، والمصباح ينشر ضوءه الشاحب، والمسجل الصغير يرسل صوت قارئ يرتل آيات من القرآن الكريم.

أحس بالجدران تدور بي، كأني أهوي في قاع معتم، وأنا أختنق، أختنق.

بعد ثلاثة أشهر من عذابه هو، لا عذابها هي، تموت، عن أربع سنين من العمر، لماذا لم تمت بعد أسبوع، أو أسبوعين، لماذا كلفته كل هذا العناء والمال والجهد، وهناك سبعة أولادٍ هُمْ أحوج منها، لماذا؟ لماذا؟

ـ أنا على استعداد لتقديم دم قلبي لتعيش، ولكن الأجل انتهى، كم أنا مشفق على ألمها ومعاناتها، وكم أنا مشفق على معاناة أمها.

هكذا يأتيني رجع صوته البعيد البعيد، وكأنه كان يقرأ أفكاري.

من أين هذا الرضا، كما يسميه هو؟!

أتفرس في وجهه. النتوء في عظام الوجنتين زاد، الغور فيهما طغى.

كأنه لم يأكل ولم يشرب منذ سنة.

في العينين الألق نفسه. في العينين الحياة نفسها.

الباب المفضي إلى الداخل يفتح، وتنطلق فراشة ترف، جديلتان شقراوانُ تغردان، ووجه هو الأمل البسام، ونداء بابا ملحمة فرح جديد.

بيد يودِّع المعزِّين، يصافحهم، وبيد يحملها يضمها إليه يقبلها.

أنهض أمدُّ إليه يدي مودعاً.

أهمس له، وأنا أداعب خدَّ الفراشة:

ـ غداً سنسمع قصيدة جديدة لهذه الفراشة. ويجيب بصوته الواثق الذي عرفته قبل عشرين عاماً:

ـ من غير شك في كل يوم قصيدة جديدة، وفراشات جديدة[1].

في عمق الأحداق أرى دمعة تترقرق، تجول، تفيض تتلألأ، ولكنها لا تنسكب.

ـ هو الرضا أيضاً؟!

ـ من غير شك.

الرضا، الرضا، دائماً. وهذا لم أذق له يوماً طعماً، ولم أدرك قط كنهه ولا معناه، بلغت حساباتي الملايين، بدلت سيارتي وشقتي مرات ومرات، أنجبت

---

(١) كتب الشاعر قصيدة رثاء لابنته بعنوان: «فراشة الجنة» يقول فيها:

تركـت فـوق كتـاب القلـب	مسـار نجـوم آفلـة
وانفلتـت مـن ربقـة مـرّ الـداء	حملت معها ما خبّأه الحب بقلبي
حملـت معهـا سبل الأشـواق	دخلت ما بين الموجة والموجة

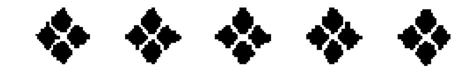
زورق شـعـري

زوجتي ثلاثة أولاد وبنتين، سافرت وارتحلت وزرت مدناً وعواصم كثيرة،ولكن لم أجد الرضا.

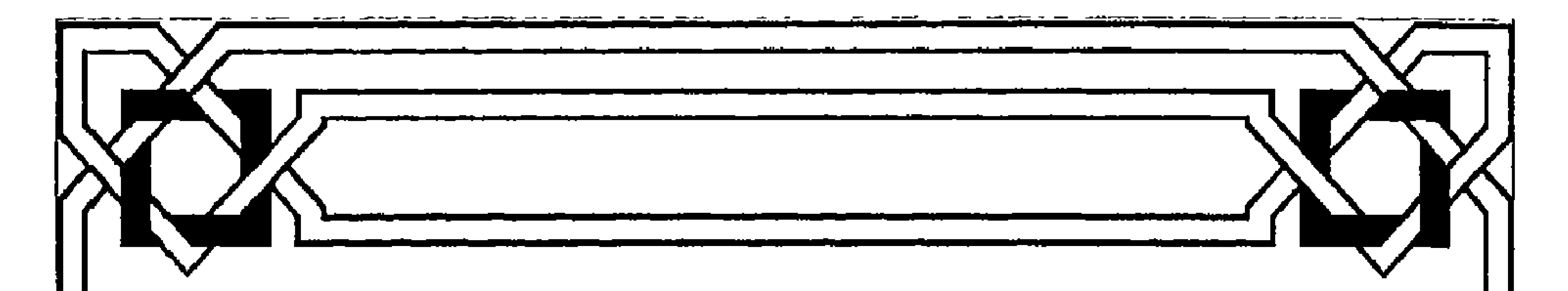
أغادر حجرته المغلقة وفي روحي ترف جديلتا الفراشة، وفي قلبي يخفق ذكر ما همس به إليّ حين سألته:

ـ وما سرُّ هذا الرضا؟ فأجاب: هو الله.

وأمضي وأنا أتمتم: وقد نسيناه[١].



(١) القصة مهداة من الكاتب الدكتور أحمد زياد محبك إلى صديقه الشاعر مصطفى أحمد النجار وهي قصة واقعية تصف الشاعر وشمائله ومرض ابنته ثم وفاتها، كما أنها تعكس عمق الصداقة التي تربط بينهما، وقد عدّل الدكتور في القصة عندما جعل من نفسه غنياً يملك الملايين، بينما هو أستاذ جامعي يعيش على راتبه.



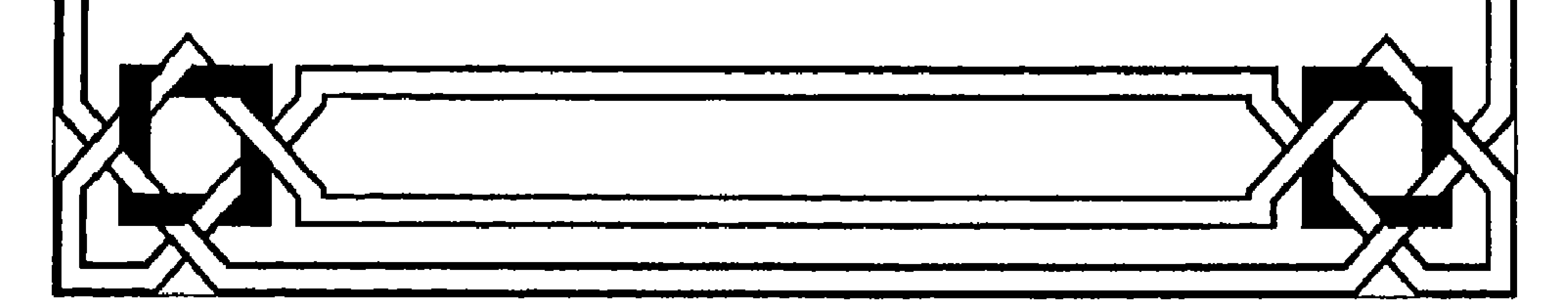
الفصل الثاني: تربية البنات

❖ ١. أمور خاصة في وصايا البنات.

❖ ٢. تربية البنات في وصايا الآباء والأمهات.

- مفهوم البنوّة
- وصايا الآباء والأمهات
- أهداف الوصايا ودوافعها
- موضوعات الوصايا
- خصائص الوصايا





أمور خاصة في وصايا البنات

عَرَّف بعضهم التربية الصحيحة بأنها تنمية أعضاء المولود الحسية، من ابتداء ولادته إلى بلوغه حد الفكر، وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية، فبهذا انقسمت التربية إلى قسمين: حسية، وهي تربية الجسد. ومعنوية، وهي تربية الروح.

وبما أن البنت ستكبر وتكون زوجة وأُمّاً، وتكون صاحبة الدار وحاضنة الأولاد، وتكون الحجر الأساسي للعائلة، لذلك كله يقرُّ العقل والشرع بضرورة احتياج البنات للتربية والتعليم في أمورها الدينية والدنيوية، وقد حث رسول الله ﷺ كل مسلم ذكراً أم أنثى على التعلم فقال عليه الصلاة والسلام: «العلم فريضة على كل مسلم».

هذا وما يجب أن تتعلمه البنات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب، ومندوب، ومباح.

١ـ الواجب : هو تعليمهن العقائد والعبادات الدينية، وحقوق الزوجية والعفة والأمانة والصيانة.

٢ـ المندوب : هو تعليمهن كيفية معاشرة الأزواج وتدبير المنزل وتربية الأطفال، والاقتصاد في المعيشة، والمعلومات النافعة.

٣ـ المباح : هو تعليمهن علوماً دنيوية كالطب والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم، فهي في دائرة المباح أي يتساوى فعله وتركه وتفصيل ذلك مبسوط في كتب الفقه[1]...

---

(١) انظر: حجاب المرأة ـ السيد عبد الله جمال الدين ـ مكتبة التراث الإسلامي، شارع الجمهورية ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م

وتربية البنت على الأخلاق الفاضلة الكريمة تدعو إليها الأحكام الشرعية والقوانين الاجتماعية، ومن ألزم الفضائل التي نربي عليها البنات الأمانة والعفة والحياء والستر، وللحياء في هذه الفضائل مكانة رفيعة، فهو خلق سام يجب أن تتحلى به. البنت والنساء بشكل عام لقوله عليه الصلاة والسلام: «الحياء حسن، ولكنه من النساء أحسن»[1].

ومن المعلوم أن الحياء نوعان: أولهما نفسي، وهو الذي خلقه الله تعالى في جميع النفوس، كحياء شخص من كشف عورته.

والآخر إيماني، وهو خصلة تمنع المؤمن من ارتكاب المعاصي خوفاً من الله تعالى، وهذا القسم من الحياء فضيلة يكتسبها المؤمن ويتحلى بها، وهي أم كل الفضائل الأخرى.

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

فلذلك وجب على المسلمين أن يُرَبُّوا بناتهم على الحياء، لأن عدم الحياء علامة لزوال الإيمان، ولا يخفى ما يتولد عن ذلك من العواقب.

وإذا خلعت البنت أو المرأة برقع الحياء، أو لم تحافظ على هذه الفضيلة تكون قد ضلت بلا شك عن طريق الصيانة والعفاف. وسنرى كيف وجه الآباء والأمهات بناتهم نحو الإيمان والفضيلة وطلب العلم وحسن المعاملة.

وكان ذلك عن طريق الوصية، وإذا كانت الوصية أسلوباً تربوياً مباشراً فإنها تأتي في نهايات سلم أساليب التربية، ولكن الوصايا هنا لها أهميتها، لأن صدورها من الآباء والأمهات ترفعها إلى الأولويات في تربية البنات، وذلك لأن الوصية من الأب والأم تتصف بالإخلاص والصدق وحرارة العاطفة.

فالوالدان من شدة حرصهما على مستقبل بنتهما، ينطلقان كلما رأيا الفرصة

---

(١) جامع المسانيد للسيوطي ٢/١٦٠.

مناسبة لنصيحة أبنائهم وخاصة البنات اللواتي سيكنَّ أمهات ومربيات المستقبل، وقد تركت هذه الوصايا أثرها على الفتيات حتى أصبح لهن شأن هام في الأسرة والمجتمع، وسجلت هذه الوصايا في كتب الأدبِ والحكمِ بأحرف وضّاءة لما فيها من فوائد وتوجيهات ونصائح..

فلنقرأ هذه الوصايا لنقبس منها كثيراً من المفاهيم التربوية القيِّمة...



تربية البنات في وصايا الآباء والأمهات

عندما نسمع بكلمة وصية، يتبادر إلى الذهن: تقديم شيء ما من شخص إلى آخر.

فالوصية في اللغة تعني: الفرض، والعهد، كما تأتي بمعنى الوعظ.

قال الراغب الأصفهاني «الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ»[1] قال الله تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وتكون الوصية من عالم إلى متعلم، ومن فقيه إلى متفقه، ومن والد إلى ولده، ومن كبير إلى ناشئ...

وسنتناول في الصفحات التالية «وصايا الآباء والأمهات للبنات».

❖ مفهوم البنوّة:

إن الأب قد لا ينحصر بالوالد الذي يأتي الأولاد من نسله، فالبنوة قد تكون بالنسب، وقد تكون بالتلمذة، فيقول الوالد لابنه يا بني، ولابنته يا بنتي، ويقول العالم لتلميذه يا بني ولتلميذته يا بنتي.

ورد في «فروق اللغة» للعسكري: «الولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، فالعلماء يسمون المتعلمين أبناءهم، ويقال لطالبي العلم «أبناء العلم» فالابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة...»[2].

وفي تراثنا العربي وأدبنا المعاصر وصايا قدمها آباء وأمهات إلى أبنائهم

---

(١) المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ص ٥٢٥.

(٢) الفروق في اللغة. لأبي هلال العسكري. دار الآفاق. بيروت ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م، ص٢٧٥.

وبناتهم الذين ينتسبون إليهم بالولادة، ووصايا قدمها علماء إلى طلابهم أو طالباتهم، مخاطبين إياهم بخطاب الأبناء والبنات، فالعالم مقامه مقام الأب بالنسبة إلى تلميذه.



وصايا الآباء والأمهات للبنات

أ. وصايا قديمة:

١ـ وصية أمامة بنت الحارث لابنتها عند زواجها.

٢ـ وصية عامر بن الظرب العدواني لابنته عند زواجها.

٣ـ وصية أسماء بن خارجة الفزاري لابنته هند عند زواجها.

٤ـ وصية عبد الله بن جعفر لابنته عند زواجها.

ب. وصايا حديثة:

١ـ وصية الشاعر «قيصر المعلوف» لابنته أليس حين زفت إلى ابن عمتها إسكندر عيسى المعلوف.

٢ـ رسالة الدكتور فاخر عاقل لابنته.

٣ـ إلى ابنتي للأديبة نعمات أحمد فؤاد.

٤ـ إلى ابنتي شيرين. للشاعر حمزة شحاتة.

٥ـ رسائل إلى ابنتي. كريمان حمزة.

٦ـ إلى ابنتي تحت العشرين. فاطمة محمد أديب الصالح.

٧ـ وصية إلى ابنتي. محمد سعيد المولوي.

٨ـ إلى ابنتي أسماء. مطلق محمد شايع عسيري.

٩ـ إلى ابنتي للكاتبة هند بنت ماجد الخثيلة.

هذه وصايا آباء وأمهات إلى بناتهم بالولادة، وثمة وصايا قدمها علماء إلى بناتهم (التلميذات) أو إلى بناتهم (فتيات الوطن) فالشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ كتب جواباً لفتاة سألته عن قضايا تهمها وتهم كل الفتيات من جيلها. وطبع هذا الجواب بعنوان «يا بنتي» وقد طبعت هذه الرسالة عشرات الطبعات وقرئت كثيراً لما فيها من فائدة فقد تحدث فيها الشيخ الطنطاوي عن واقع الفتاة المسلمة وأخلاقها وعلاقتها بالمجتمع الذي تعيشه، وحذرها من الرذيلة وحضها على الفضيلة وبيّن لها فوائد الحجاب وأثره، وذكر أخطار السفور والاختلاط، وقدم لها ولجميع الفتيات وعظاً وإرشاداً[1].

كما أن الأستاذ الكاتب «أنور الجندي» وجه رسالة إلى فتاة مسلمة بعد أن حصلت على شهادة الدبلوم الجامعية، وقد تتلمذت على يديه.

كتب يحدثها عن قيمة العلم ورسالة المرأة في الحياة، وقارن بين عملها في المنزل كمربية لأولادها وعملها خارج البيت في بعض الدوائر، ووجه لها نصائح وإرشادات في ذلك، ابتدأها بقوله: إلى ابنتي نادية.

❖أهداف الوصايا ودوافعها:

قد صرح الآباء أن الواجب يتطلب منهم أن يوجهوا أبناءهم وبناتهم إلى ما فيه صلاحهم.

قال الدكتور فاخر عاقل مبيناً أن الواجب يحتم عليه أن يبصِّر ابنته بأمور حياتها: «طالما أحببت أن أتحدث إليك في أمور أعتقد أن من واجبي أن أتحدث إليك فيها وأن أبصرك بها».

عن أهمية الوصية للبنات. قالت أمامة بنت الحارث في مطلع وصيتها لابنتها: «أي بنيه، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة في حسب لَتَرَكْتُ ذلك منك، ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل».

---

(١) يا بنتي. علي الطنطاوي. دار المنارة. جدة السعودية.

وقد ذكرت «شيرين» ابنة الشاعر حمزة شحاتة أهمية رسائل والدها وأثرها في نفسها فقالت: «أصبحت هذه الرسائل على مر الأيام جزءاً عزيزاً من نفسي... بل قطعة من روحي... أقرأ كل رسالة منها عشرات المرات... فتعوضني عن غياب الوالد وتؤنس تعطشي لوجوده إلى جواري... فكانت النصائح التي تضمنتها خير مرشد ومهذب، أعود إليها فأستأنس بحكمته وفلسفته ونظرته العميقة للحياة...! [(١)]

إن الآباء والأمهات يهدفون من وصاياهم لبناتهم أن يصبحن مؤمنات صالحات قانتات واعيات مربيات...

ومن الملاحظ أنها كانت تُوَجَّه للبنات بعد سن البلوغ، وخاصة عند الزواج، فالصغيرات لا يدركن أهمية الوصايا وقيمتها، وإن استجبن لها فاستجابتهن وقتية، وتتسم الوصايا للصغيرات بأنها شفهية وبسيطة وسهلة، أما الوصايا الموجهة إلى البالغات الراشدات فهي تبقى معهن مكتوبة ومحفوظة تذكرهن بما قاله الآباء والأمهات.

والوصايا وُجِّهتْ إما على شكل نصيحة وموعظة مباشرة، ثم سجلت وحفظت في الكتب، وهي لا تتجاوز الصفحة، وإما رسائل أرسلت بناء على طلب البنت مؤلفة من عدد من الصفحات ومنها ما جمع بكتاب وصدر مطبوعاً مثل كتاب «إلى ابنتي شيرين» للشاعر حمزة شحاتة.

بعضها جاء ابتداء من الأب أو الأم بسبب مناسبة مثل وصايا للبنات عند الزواج، وبعضها جاء بناء على سؤال وجهته البنت لأبيها أو لأستاذها العالم، كما في رسالة الشيخ علي الطنطاوي لفتاة سألته عن رأيه في بعض المسائل فخاطبها بـ (يا بنتي).

وقد تكون الوصية أو الرسالة لأسباب أخرى تعرف من خلال نص الوصية أو الرسالة.

---

(١) إلى ابنتي شيرين «حمزة شحاتة» الكتاب العربي السعودي رقم /١٢/ ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، جدة.

وكانت الوصايا ـ على الأغلب ـ تنطلق من الخاص إلى العام، فإن وصايا الآباء والأمهات تصلح لبناتهم وتصلح لبنات المجتمع، فوصايا الزواج فيها إرشادات تستفيد منها كل المقبلات على الزواج.

كما أن القيم النبيلة التي يدعو الأب ابنته إليها تصلح للبنات الأخريات، وهذا ما صرح به الدكتور فاخر عاقل: «هذا ما كتبت لابنتي، رأيت أن أقرأه عليكم لأنني عرضتُ فيه أموراً أعتقد أنها تهم جميع فتياتنا»[1].

❖ موضوعات الوصايا:

إذا أمعنا النظر في الوصايا الموجهة للبنات نجدها تدور حول موضوع أساسي، وموضوعات فرعية، الموضوع الأساسي الذي تدور حوله الوصايا هو «الزواج» ولاسيما الوصايا القديمة التي تحدثت عن الزواج وما يتعلق به، لأن الزواج منعطف هام في حياة الفتاة، وتحول جوهري في سيرها، فهي تخرج من بيت أبيها التي درجت فيه طفلة ثم صبية ثم شابة إلى بيت زوجها، زوجة وأماً ومربية، تتحمل مسؤوليات وقعت على عاتقها.

❖ حقوق الزوج:

ولكي يعمر بيت الزوجية ويزدهر وترفرف عليه أعلام السعادة قدمت الأمهات والآباء دروساً لبناتهم في بناء البيت والقيام بحقوق الزوج، وأن تحتضنه في شغاف قلبها، وتجعله محط نظرها.

وفي يوم زواج ابنة أمامة بنت الحارث قالت لها أمها موصية: «احفظي عني خصالاً عشراً، تكن لك دَرَكاً وَذِكْراً. **فأما الأولى والثانية**، فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرَّبِّ.

---

(١) رسالة المعلم. مجلة تربوية تصدرها وزارة التربية في الأردن ـ العدد الثاني لسنة ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

وأما الثالثة والرابعة، فلا تقع عيناه على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيِّب الريح، واعلمي ـ أي بنيَّه ـ أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحُسْن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة، فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبةٌ، وتنغيص النومة مغضبة.

وأما السابعة والثامنة، فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حَشَمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة، فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أو غرت صدره.

واتقي الفرح لديه إذا كان ترحاً، والاكتئاب عنده إذا كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت، والله يخيرُ لك، ويصنعُ لك برحمته».

وقد تناقلت الأجيال هذه الوصية لما فيها من نصائح بليغة وحكم سديدة.

❖ الانتقال إلى بيت الزوج:

وتحدث الآباء والأمهات في مطلع وصاياهم عن انتقال الفتاة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، وبيّن كل منهم لابنته الفارق بين البيتين حتى تتهيأ العروس نفسياً وعقلياً لما هي مقبلة عليه: «أيْ بنيَّة إنك قد فارقت الجواء الذي منه خرجت، والوكر الذي منه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، فكوني له أمةً يكن لك عبداً»[1].

وأراد الشاعر «قيصر معلوف» أن ينبه ابنته إلى هذه الرحلة الميمونة، ورجاها أن تكون واحدة من أهل زوجها تبادلهم الحب والمودة:

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ٦/٨٣ ـ ٨٤.

أبنـيتي أزف النـوى فتـزودي   نصحاً علـى خُبْـر إليـك يقـدم
سـتغادرين الأهـل مبحـرة إلى   أهـل أعـزاء، فكـوني منـهمو

❖ وصايا حول الزواج وأهميته:

بما أن الزواج سبب للإنجاب، والإنجاب سبيل لاستمرار البشرية، وأن الزواج يبعد الشباب والفتيات عن الرذيلة، فهو أغض للبصر وأحصن للفرج، والالتقاء بين الرجل والمرأة فطرة فطر الله الناس عليها، لذلك كله وضَّح الوالدان أهمية الزواج في حياة المرأة، فقد جاء في ثنايا الوصايا القديمة: «أي بنيتي، إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خُلِقَ النساء، كما لهن خُلِقَ الرجال»[1].

وجاء في الوصايا الحديثة: «وأما عن زواجك فلا أقل من أن أقول لك: إن الزواج أمر من الخطورة والأهمية بحيث يستحق أن تستعدي له وتتأهبي، وأن تعرفي عنه وتتبصري، وإلا فليس غريباً أن يتحضر الإنسان لكل شؤون حياته ما عدا زواجه؟ أليس عجيباً أن يتهيأ لوليمة يقيمها وسفرة يقوم بها ولا يتهيأ لزواجه؟!

ثم إن الزواج حادث هام لا تكفي فيه خبرة الأم أو حديث الخالة والجدة، بل لا بد له من سماع كلمة العلم في ميادينه المختلفة: ميادين الجسد وميادين النفس وميادين الاجتماع.

الزواج علم وفن، والحياة الزوجية يجب أن تقوم على أساس من الوعي والإدراك والمعرفة، وهي بغير ذلك منتهية إلى ما لا يحبه إنسان لنفسه من انفصام أو تعاسة[2].

❖ الاهتمام بالجمال:

وفي الوصايا الأبوية للبنات إلحاح على العناية بالجمال والمظهر أمام الزوج

---

(١) العقد الفريد مرجع سابق.

(٢) رسالة إلى ابنتي د. فاخر عاقل. مجلة رسالة المعلم. مرجع سابق.

فالرجال يحبون أن يروا زوجاتهم بأحسن حال، ويسرهم أن تعتني المرأة بجمالها وتستعمل أدواته المتوفرة في عصرها دون تفريط:

«عليك بأطيب الطيب: الماء، وأحسن الحُسْن: الكحل»[1].

وقد مرَّ معنا سابقاً ما يشبه هذا في وصية أمامة بنت الحارث، فالاهتمام بالجمال مطلوب بالوسائل المتاحة.

أما في زماننا المعاصر فقد تحدث الدكتور فاخر عاقل لابنته عن فلسفة الجمال وأسبابه فقال: «أريدك أن تعرفي هذه الحقيقة البسيطة عن الجمال: الوجه مرآة النفس ينعكس عليه ما فيها من أفكار وعواطف ونيَّات، أريدك أن تؤمني بأن السعادة مفتاح الجمال، وأن الاتزان والانسجام سر السعادة، كما أريدك أن تتأكدي أن السعادة مصدرها الذات ومنبعها العقل الذكي والعاطفة المتزنة والعمل المخلص.

لا تفهمي، يا بنية من كلامي أني أدعوك لإهمال جمالك، ألف كلا، إني على العكس أهيب بك أن تعني به بغير مبالغة وأن تتعهديه بذوق وحسن إدراك وأن تعطيه من وقتك وتفكيرك ما يحفظ حسن المظهر ولطف المعشر، وما يفتح لك مغاليق القلوب...

والجمال سيبقى أبداً رأس مال ثمين للمرأة...

ولكنني أعيذك من الإفراط، وأؤكد لك أنه حتى الرجل الذي يعجب بغانية متبرجة، لا يحب لزوجه مثل تبرجها...».

◆ إدارة المنزل:

مما يجعل الحياة الزوجية أكثر متعة وسعادة وهناءة ـ بالإضافة لما ذكرنا ـ اهتمام المرأة بترتيب بيتها وتربية أبنائها.

وجه الشاعر قيصر المعلوف ابنته إلى العناية ببيتها، وتربية البنين على المحبة والوفاء فقال:

---

(١) وصية أسماء بن خارجة. لابنته. البيان والتبيين للجاحظ ٢/٤٥.

وتعهـدي للبيـت أسـباب الهنـا ليطيـب فيـه نومـه والمطعـم
ربي البـنين علـى المحبـة والوفـا للوالـدين، فـإن ذاك محـتم
لا ترضعيهم ثدي غـيرك واعلمـي أن المحبـة بالرضـاعة تغـنم

وما أحسن ما قاله الدكتور فاخر عاقل لابنته حول الاعتناء بترتيب بيتها وفرشه بالأثاث المناسب المبني على الذوق وحسن الاختيار.

«الجنة مكان جميل، فليكن بيتك جميلاً، إني أقول جميلاً ولا أقول غنياً، إذ إني أعتقد أنه ليس من الضروري أن يحتوي على الأثاث الفاخر والرياش غالي الثمن لكي يكون جميلاً، ولكنه يجب أن يكون نظيفاً، وأن يؤثث بذوق، وأن يجمل بأشياء لا تكلف كثيراً، ولكنها تضفي عليه بهجة وسحراً...»

وبيّن لها أن الجو الذي يسود في المنزل يؤثر في تربية الأبناء «أما بالنسبة لأولادك فالأمر أهم وأعظم.

أحب لك أن تعلمي أن جو البيت مسؤول إلى حد كبير، كبير جداً، عن خُلُق الأطفال وطباعهم وسلوكهم وشذوذهم.

إن بيتاً يبدأ فيه الخصام صباحاً ليستأنف مساء، ويخرج منه الأب إلى المقهى لتغادر الأم إلى الاستقبالات والزيارات، ويفرق الطلاق فيه بين الأب والأم، أقول إن بيتاً هذا شأنه جدير بأن يدفع الأطفال للجنوح، ويرمي بهم إلى الشذوذ والإجرام، ومسؤولية الأم في هذا كله كبيرة جداً.

ثم أريدك أن تعلمي أن الزوج كل زوج مهما كان غنياً أو فقيراً يسعده أن يرى زوجته سيدة بيته، يسعده أن يراها تعتني بتربية أولادها ولا تتركهم للخدم والمربيات، يسره أن يأكل من طعام تُحضِّره له هي بنفسها، ولو كان عنده عدد من الطباخين والخدم يفوق عدد أفراد العائلة».

❖ موضوعات أخرى في الوصايا:

وثمة موضوعات أخرى تعرضت لها الوصايا وطالبت البنات بالتزامها، كتأدية البنت ما عليها من صلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى.

ففي الرسالة رقم /١٤/ التي أرسلها الشاعر حمزة شحاتة إلى ابنته وهي في الغربة ما نصه «كوني رقيقة لطيفة مخلصة، وصلِّي... وحافظي على الصلاة وعلى تلاوة القرآن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وتقربي إلى الله بالنوافل وهي الصلوات غير المفروضة... فإن من يتقرب إلى الله بها، يضع مفاتيح سعادته واطمئنانه في يديه، واسمعي قول الله عز وجل في الحديث القدسي (ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي ينظر بها وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يضرب بها وقدمه التي يمشي بها)[1].

كما أن الوصايا حثت على الفضائل ونهت عن الرذائل ودعت إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وأن لا ينظر الفاعل للخير جزاء البشر.

خاطبت الكاتبة نعمات أحمد فؤاد ابنتها قائلة: «حنان إني أسألك يا بنتي بعد أن أوضحت لك كيف أطلقنا عليك هذا الاسم الجميل أن تهبي من قلبك الكثير للآخرين.

أغدقي الحنان على الضعفاء والأقوياء، تجتذبين القوي، وتحيين الضعيف، امنحي الحنان من قلبك الكبير ولا تنتظري الجزاء، فإن فعل الخير في ذاته يحمل جزاءه، بما يضفيه على فاعله من السعادة وراحة الضمير، ثم إن التجرد للمثل الأعلى بدون مقابل هو ارتفاع بالإنسانية إلى أوج رفيع يسمو على الجزاء لعله يترفع عليه. حنان: استلهمي اسمك ثم سيري على بركة الله»[2].

وحذرت الوصايا من السلبيات أو من الصفات الذميمة التي تحط من قدر الإنسان، وتسبب له المتاعب ـ ولا سيما في الزواج ـ فقد حذر عبد الله بن جعفر ابنته عند هدائها (زواجها) من الغيرة والمعاتبة فقال: «يا بنية، إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة، فإنها تورث البغضة»

ويود الآباء والأمهات أن تصاحب بناتهم الصديقات الخلوقات الوفيات، وأن يبتعدْن عن المتبذلات التافهات.

---

(١) إلى ابنتي شيرين. مرجع سابق صفحة ٩٣.

(٢) إلى ابنتي. نعمات أحمد فؤاد. مكتبة الخانجي ـ مصر ١٩٥٦م.

قالت الكاتبة نعمات أحمد فؤاد تأمر ابنتها بالابتعاد عن التافهات والساقطات: «حذار يا بنتي من التافهات، لا تقربيهن مهما كانت ثقتك بنفسك وثقة الناس بك، فإن مخالطتهن كراكب البحر الذي يصفه ابن المقفع بأنه إذا سلم من الغرق لا يسلم من الفرق.

حذار يا بنتي من التافهات، تجنبيهن ما استطعتِ حتى لو جمعك على، رغمك بهن مكان... لوذي بالصمت وتعللي بالأعذار لتتحللي من إحداهن، عصمك الله من التفاهة، وحباك بهبة الفن، وشرفك بمجد العلم... وزانك بحلي الأدب، ونضر بك الحياة».

❖ خصائص وصايا الآباء والأمهات للبنات:

إن المتأمل في هذه الوصايا يجدها تتميز بخصائص من حيث الشكل والمضمون فهيكل الوصية يتكون من مقدمة تبدأ بالخطاب وبيان أهمية الوصية، ثم عرض الوصية، وتختم بالدعاء على الأغلب.

وقد لا حظنا أن أسلوب الخطاب قد بدئ بألفاظ متقاربة كنحو: (بنيَّة، يا بنيَّة، بنيتي، يا بنتي، إيه بنيتي...).

وفي النهاية الدعاء الحار كقول فاخر عاقل: «كلأك الله بعين رعايته، وألهمك سداد الرأي وصواب العمل، وجزانا عن تعبنا بنجاح يكتبه لك، وسعادة يمتعك بها».

ودعاء الشاعر حمزة شحاتة لابنته: «سدد الله خطاك، وأبعد عنك الشيطان ووساوسه، وجعلك قدوة مثلى، وداعية خير لبنات جنسك، ودفع عنك الضيق والقلق».

أما الخطاب فيها على صيغة (افعل أو لا تفعل) وهذا واضح في الوصايا القديمة التي تميزت بقصر جملها وجزالة عباراتها، أما الوصايا الأبوية الحديثة فاعتمدت على الاسترسال إلى جانب أفعال الأمر، وشرحت أسباب الوصية ووضحتها، وبينت فوائدها ونتائجها، فهي وصايا مباشرة وغير مباشرة، وما قدمناه من شواهد فيما مضى دليل على ذلك.

بالإضافة للتوجيهات، فقد تضمنت الوصايا الحديثة أيضاً معلومات وقضايا اجتماعية تحتاج إليها الفتاة في حياتها، وبيّنت لها ما للفضيلة من قيمة وما للرذيلة من مضار يقول الشيخ علي الطنطاوي «إن من عجائب حكمة الله أنه جعل من الفضيلة ثوابها: الصحة والنشاط، وجعل من الرذيلة عقابها: الانحطاط والمرض، ولرُبَّ رجل ما جاوز الثلاثين، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين».

وتحدث الكاتب أنور الجندي في رسالته إلى ابنته نادية (تلميذته) عن دورها ومهمتها فيقول: «والحق أن الفتاة في صميم تكوينها وحياتها في حاجة إلى أن تفهم دورها ومهمتها الحقيقية التي لا تلبث أن تواجهها بالمسؤولية في البيت ومع الزوج ومع الطفل الوليد دون أن تكون قد درست ما يتصل بذلك كله من علوم التربية والنفس لتفهم الرجل ذلك الشريك، ولتعرف كيف تدير هذه الأسرة الجديدة، ولا بد أن يحاط ذلك كله بسياج من الإيمان بالله والخلق الكريم في ضوء القرآن ورسالة الإسلام التي تعطي الأصول المؤصلة والضوابط الصحيحة لهذه الحياة الجديدة...»

ولكي يدعم الآباء والأمهات وصاياهم بالأدلة والأمثلة ذكروا للبنات آيات كريمة وأحاديث شريفة كما ورد سابقاً في رسالة حمزة شحاتة رقم /١٤/.

ولكي تلتزم البنت بالوصية حرص الآباء والأمهات على عدم إلزامها بما جاء فيها، بل تركوا لها الخيار والتفكير في مضامينها، فإن اقتنعت فبها ونعمت وإلا فلا غبار عليها في تركها، وهذا ما تجلّى في وصايا الدكتور فاخر عاقل: «بنيتي: هذه ملاحظات سقتها إليك عن عالمك وأنوثتك وحياتك المقبلة لم أبغ من ورائها أن أصُبَّ عقلك في قالب عقلي أو أصوغ عاطفتك وفق عاطفتي، أو أن أجعل عملك نسخة عن أعمالي كلا ألف كلا...

ولكني شعرت من واجبي أن أضع بين يديك خبرتي ومفاهيمي، وأنا على مثل اليقين بأنك واجدة منها الصحيح والخاطئ وأنك آخذة منها ما ترينه صواباً وتاركة منها ما تعتقدينه خطأ.

ولقد ربيناك، أمك وأنا على أن يكون لك رأيك المستقل، وأن تكون لك

شخصيتك، وحرصنا على تزويدك بكل ما ينفعك من أجل النظرة الصحيحة والرأي السديد...».

إن الوصايا معظمها قدمت شفهية، لكنها قُيِّدَتْ فيما بعد لمالها من قيمة ولاسيما إذا صدرت من عالم أو أمير أو أم، وبعض الوصايا المعاصرة صدرت بشكل كتاب، فقد جمعت رسائل الشاعر حمزة شحاتة لابنته في كتاب وصدر بعنوان «إلى ابنتي شيرين».

وألّفت نعمات أحمد فؤاد كتاباً بعنوان «إلى ابنتي» فيها وصايا ومعلومات وقضايا اجتماعية كتبتها إلى ابنتها حنان.

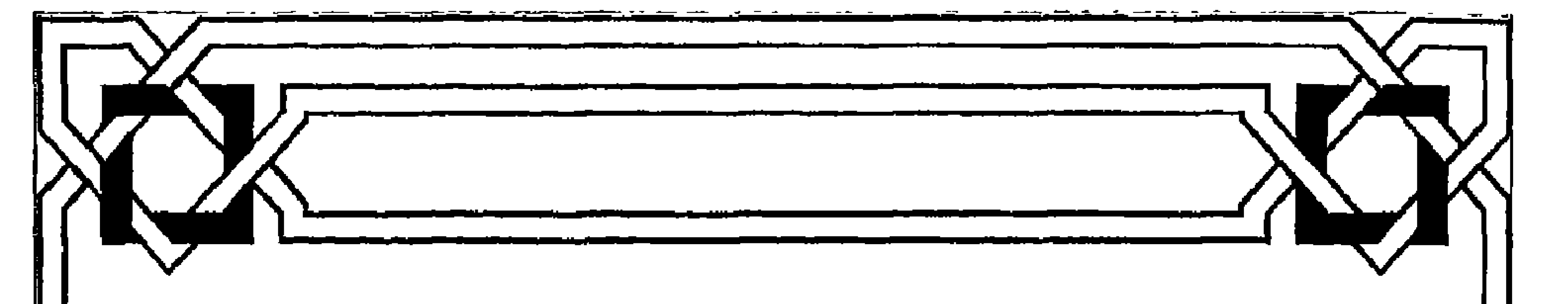
وفي الحقيقة إن الوصايا الشفهية كثيرة وهي وقتية، ولكن التي تكتب أو تقدم مكتوبة، تبقى محفوظة تفيد على مرور الأيام، وتقتبس منها البنت والبنات الأخريات، وهذا ما حبذه الدكتور فاخر عاقل حين قال: «ولعلك سائلتي: لم هذا الحديث المكتوب؟ وما المانع من حديث مرسل يسير كما كنا نفعل دوماً؟ وجوابي إني أؤمن بالكلمة المكتوبة، أؤمن بقوتها في الإقناع وقدرتها على الخلود وقيمتها في التأثير.

ثم إني أحب أن تحتفظي بكتابي هذا، وأن تعودي إليه في مقبلات أيامك وأن تقرئيه أكثر من مرة فقد ترين فيه عربوناً لحب أب وخلاصة لخبرة رجل وهادياً لك في بيداء هذه الحياة».

هذه صورة واضحة عن وصايا الآباء والأمهات للبنات، تبين لنا فيها قيمة هذه الوصايا وموضوعاتها وخصائصها، عسى أن تكون للآباء دليلاً يفيدهم في تقديم النصيحة الحكيمة لبناتهم، وتكون للبنات منهلاً للموعظة والعبرة والحكمة يتلقين من دروسها ما يربيهن ويقوِّم اعوجاجهن، فالبنات والأبناء بحاجة ماسة إلى وصايا أبوية لما فيها من علم وخبرة وتجربة.

والحمد لله رب العالمين





الفصل الثالث

وصايا تربوية متنوعة

❖١. يا فاطمة أنقذي نفسك

❖٢. رسول الله يزور فاطمة

❖٣. يا بنية أحسني إلى...

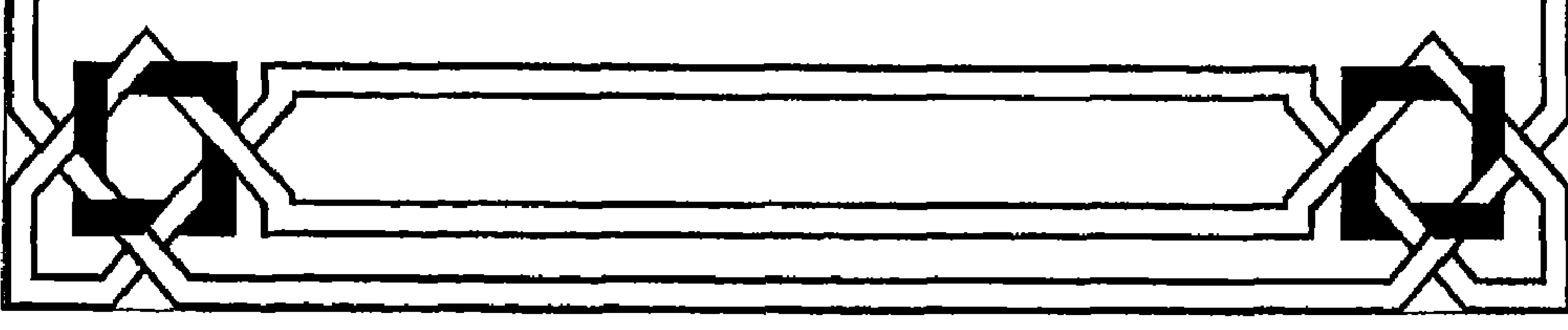
❖٤. رسالة إلى ابنتي

❖٥. إلى ابنتي شيرين

❖٦. رسالة نهرو إلى ابنته

❖٧. وصية وتضحية

❖ ❖ ❖ ❖ ❖



يا فاطمة أنقذي نفسك

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. جمع رسول الله ﷺ قريشاً، فخصَّ وعمَّ. فقال:

يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بني قصي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً.

يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكِ من الله ضراً ولا نفعاً.

إن لك رحماً سأبلها ببلالها»[١].

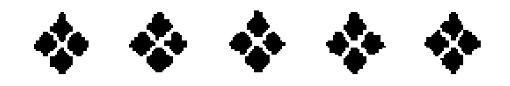


(١) سنن الترمذي رقم ٣١٠٩

وصية بذكر الله

ـ عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنهما: «إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين».

قال علي: فما تركته منذ سمعته من رسول الله ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين»[١].



رسول الله ﷺ يزور فاطمة

عن سهل بن سعد الساعدي. قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فلم يقِل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله، هو راقد في المسجد، فجاء رسول الله، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ، يمسح التراب عنه ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»[٢].

قولها: لم يقِل عندي؛ أي لم يقض وقت القيلولة.

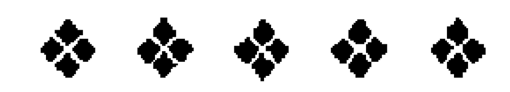
---

(١) رواه مسلم والبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه. انظر: الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد ١/٥٣٥؛ وفضائل أصحاب النبي ﷺ فضائل علي بن أبي طالب، والأدب، باب التكني بأبي تراب، والاستئذان باب القائلة. ومسلم: فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم ٢٤٠٩.

وفي هذا الحديث من آداب النبوة مداراة الصهر واستعطافه، والتودد إليه بليّن الخطاب، وتسكين غضبه، وفيه كذلك تعليم البنت كيف تخاطب زوجها وتتودد إليه، إذ قال لها رسول الله ﷺ أين ابن عمك؟

وفيه سعي الوالد لإزالة الشحناء التي تقع بين ابنته وزوجها، وذهابه إلى بيتها ودخوله إليه، وإن كان زوجها غائباً إذا كان لا يمانع ولا يسوءه ذلك.

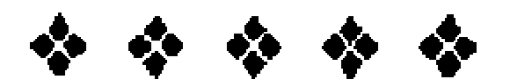


يا بنيّة أحسني إلى...

عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قال لامرأة عثمان: أي بنيّة إنه لا امرأة لرجل لم تأتِ ما يهوى ودمه في وجهه، وإن أمرها أن تنتقل من جبل أسود إلى جبل أحمر، أو جبل أحمر إلى جبل أسود، فاستصلحي زوجك(١).

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته وهي تغسل برأس عثمان رضي الله عنها فقال: يا بنيّة أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقاً(٢).

وفي رواية ضعيفة أن رسول الله ﷺ دخل على رقية وفي رواية أم كلثوم فقال: كيف تجدين أبا عبد الله؟ أي: عثمان بن عفان، قالت: بخير، قال: أكرميه فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقاً(٣).



---

(١) انظر: ابن إسحاق في السير والمغازي، ص ٢٥٣؛ والدولابي في الذرية الطاهرة، رقم ٧٨، وهو مرسل، وفيه: عمرو بن عبيد، وهو مصحّف

(٢) الطبري في الكبير ١/٣١، ٣٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٨١ رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الدولابي في الذرية الطاهرة، رقم ٦٣، والحاكم ٤/٤٨، ٤٩؛ ويعقوب القسوي في المعرفة والتاريخ ٣/١٦٢؛ والطبراني ١/٣٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه محمد بن عبد الله، يروي عن المطلب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات...

رسالة إلى ابنتي

كتب الدكتور فاخر عاقل رسالة إلى ابنته قال فيها[1]:

ـ ابنتي الحبيبة :

طالما أحببت أن أتحدث إليك في أمور أعتقد أن من واجبي أن أتحدث إليك فيها وأن أبصرك بها، وإنك لتعلمين يا بنية أني لم أضرب قط حجاباً بيني وبينك، وإننا تحدثنا ـ أنت وأنا ـ دوماً حديث الصديق للصديق، الصديق الكبير

---

(١) الدكتور فاخر عاقل: ولد عام ١٩١٨م في بلدة صغيرة في شمال غرب سورية اسمها (كفر تخاريم) وهي تابعة لمحافظة إدلب.

حصل على الإجازة الجامعية والماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت في التربية وعلم النفس، عُيِّن بعدها أستاذاً في دار المعلمين بدمشق، ثم أوفد إلى لندن لتحضير شهادة الدكتوراه، وخلال ثلاث سنوات نال شهادة الدكتوراه، وعاد ليعين أستاذاً مساعداً في جامعة دمشق، ورئيساً لقسم علم النفس، أثناء عمله بجامعة دمشق، عمل مع اليونسكو مدة سبع سنوات متفرقة في مصر وفي الأردن وفي السعودية، شارك في إنشاء الجامعة الأردنية، وعلَّم فيها مدة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى جامعة دمشق وبقي فيها حتى عام ١٩٨٣م عندما طلب إحالته على التقاعد.

ـ بلغت مؤلفاته أربعة وعشرين مؤلفاً بالعربية والإنكليزية وثلاث كتب مترجمة، معظم كتبه مطبوعة أكثر من مرة منها: علم النفس التربوي، أصول علم النفس وتطبيقاته، مدارس علم النفس، اعرف نفسك، معالم التربية، التعليم ونظرياته، التربية قديمها وحديثها، الإبداع وتربيته، علماء نفس أثروا في التربية.

إلى جانب ذلك وضع معجمين بالإنكليزية والفرنسية والعربية، وكتب عشرات المقالات ونشرها بالمجلات والصحف.

له ثلاثة أولاد: صبي وبنتان، أما الصبي فأصبح الآن طبيباً وخبيراً عالمياً في مرض الإيدز في لوس أنجلوس ، والبنتان إحداهما هدى وهي أستاذة في جامعة ميشغن، ترأس مؤسسة للعلوم النفسية، والثانية طبيبة نفسية في واشنطن.

كتب إلى إحدى بناته رسالة ينصحها فيها ويوصيها، ثم ألقاها في الندوة النسائية في دمشق، ثم نشرها في مجلة (رسالة المعلم) الأردنية العدد الثاني السنة الخامسة كانون أول /١٩٦١/ م عندما كان يحاضر في الجامعة الأردنية.

الأكثر تجربة، للصديق الأصغر الراغب في المعرفة المتفتح للحياة، وبهذه الروح سأتحدث إليك الآن.

ولعلك سائلتي: لم هذا الحديث المكتوب؟ وما المانع من حديث مرسل يسير كما نفعل دوماً؟ وجوابي: إني أؤمن بالكلمة المكتوبة، أؤمن بقوتها في الإقناع وقدرتها على الخلود وقيمتها في التأثير.

ثم إني أحب أن تحتفظي بكتابي هذا أو أن تعودي إليه في مقبلات أيامك، وأن تقرئيه أكثر من مرة، فقد ترين فيه عربوناً لحب أب وخلاصة لخبرة رجل وهادياً لك في بيداء هذه الحياة.

ـ أي بنيتي :

لقد بلغت من العمر الآن ما يسمح لي بأن أحدثك عن أمور كثيرة لم أر من المناسب أن أحدثك عنها قبل الآن.

إنك اليوم تودعين عالم الطفولة ببراءته وسذاجته وتحلله من المسؤوليات والهموم إلى عالم الشباب، عالم الأنوثة، وما يفترض فيه من تهيئة للحياة المقبلة ومطالبيها ومسؤولياتها.



عالم الشباب... عالم الأنوثة

وعالم اليوم، كما أحب أن تعرفي، عالم معقد انقلبت فيه المفاهيم، واختلفت النظم، وتعددت المطاليب وتضاعفت المسؤوليات. إنه عالم غني جميل ذكي، ولكنه ـ بالمقابل ـ عالم يطالب العائشين فيه بما لم يكن يطالبهم به عالم الأمس البسيط الساذج البدائي.

ولست أحب لك أن تفهمي من كلامي أني من القائلين بسوء هذا العالم وشره وفساده، كلا! إني أؤمن بالإنسان إيماناً عميقاً، وأريدك أن تؤمني به معي،

إني أؤمن بقدرته على التقدم المستمر، وأعتقد اعتقاداً راسخاً بأن عالم اليوم خير من عالم الأمس، وأن عالم الغد سيكون حتماً خيراً من عالم اليوم.

ولهذا السبب بالذات أؤمن بأن من واجب الآباء والأمهات أن يهيئوا أولادهم للعالم المتقدم أبداً، المتحسن سرمداً، السائر قدماً نحو الأفضل، ولهذا السبب بالذات أكتب إليك اليوم.

ثم إني أريدك أن تعلمي أن عالمنا اليوم لا يحتاج شيئاً حاجته لإنسان يدرك معنى التقدم المادي الهائل الذي نعيش في ظله، والذي انطلق به نحو السماء، نحو الشمس والكواكب.

إن إنساناً يطلق صاروخاً يدور حول الشمس، أحوج ما يكون إلى خُلُق يليق بهذه العظمة، أحوج ما يكون إلى علاقات بشرية تناسب هذا المجد أحوج ما يكون إلى مجتمع يسخِّر هذه المعارف الهائلة لمزيد من التقدم والرقي لا للقضاء على التقدم والرقي البشريين.

وأنتِ، أنتِ وسواك من أبناء وبنات جيلك، هنا في وطننا العربي الحبيب وفي كل وطن على وجه هذا الكوكب، ستكونين مسؤولة عن هذا التقدم والرقي، وبالتالي مطالبة بالخلق الذي أشرت إليه وببناء المجتمع الذي نوهت به.

وأنا حين أحاول ـ في كتابي هذا ـ أنْ أعدَّك لحياتك المقبلة في عالم الغد العظيم، إنما أصدر عن حبي لهذا العالم، وعن عقيدتي بأن الإنسان هو أهم ما في العالم، وعن إيماني بأهمية أدائي واجبي بوصفي أباً.

على أني لا أنسى أن أشير إشارة خاصة إلى جنسك، إلى كونك فتاة، ذلك بأن عالم الماضي بخس المرأة أشياءها وغمط حقها وذلك بأن عالم اليوم يحاول إنصافها وإعادة الأمور إلى نصابها، وذلك بأن عالم الغد سيفتح للفتاة الأبواب على مصاريعها فيزداد قوة على قوته وتقدماً على تقدمه وغنى على غناه.

إن عالم الغد سيفخر. بما تضيفه المرأة إلى ثرواته العلمية والفكرية وبما تضيفه عليه المرأة من عبقرية تنظيمها وعميق وعيها وسحر ذكائها ودفء عاطفتها

وحبها فاستعدي للغد العظيم، وهيئي نفسك للمهمة الجليلة تنهضين بها مع بنات جنسك، وأعدي لمجتمعك المقبل عقلاً نيراً وعلماً صحيحاً وعاطفة ذكية وقلباً كبيراً.



تربية البنات والبنين

- إيه بنيتي :

من أجل هذا كله ومن أجل أشياء أخرى لم أذكرها، رأيت أن أكتب إليك، وأن أحدثك عن بعض الأمور.

لعلك لمست حتى الآن أننا في بيتنا ـ أمك وأنا ـ لا نفرق في المعاملة والمحبة بينك وبين أخيك بِشْر، وما أظنك إلا معترفة بأننا لم نستقبل أختك حين ولدت بأقل مما لو كانت صبياً لعلك لاحظت فرح أمك بها وحبها لها، ولعلك تعرفين بأني أمنحها من قلبي وعنايتي ما أمنحه لك ولأخيك.

أقول هذا، لأثير معك مسألة التساوي بين المرأة والرجل. سألتني مرة: هل المرأة كالرجل؟ وقلت لك آنئذ نعم ولا.

نعم لأنهما متساويان في الحقوق والواجبات متساويان في إنسانيتهما، متساويان في قيمتها وأهميتها للوطن والمجتمع، ولا، لأنهما جنسان متكاملان، مختلفان في كثير من الأمور ومتشابهان في كثير من الأمور أيضاً.

جسد المرأة غير جسد الرجل، ونفسية المرأة تختلف عن نفسية الرجل، وعقلها غير عقله، وعاطفتها غير عاطفته، وتصرفاتها تختلف عن تصرفاته.

جسد المرأة مخلوق بحيث يناسب وظيفتها الأهم، وظيفة الأمومة، وعقلها، يعمل على أساس من الحدس المباشر والإدراك المستبصر، وعاطفتها الثرة قاطعة في أحكامها: تحب وكفى، وتكره ولا تبرر، وسلوكها قائم على أساس من عقائدها، ولو اختلفت عقائدها مع عقائد الناس أجمعين.

وليس معنى هذا أنها أذكى من الرجل أو أغبى منه، وليس معناه أيضاً ما زعم من أنها إنسان يعيش على العاطفة ويتنكر للعقل، وليس معناه أبداً أن الأمومة هي مهنتها الوحيدة، وأن البيت هو مكانها الأنسب دوماً، لا، إن معناه أن ذكاءها يختلف عن ذكاء الرجل بعض الشيء، فثمة أمور تتجلى فيها عبقريتها، وتخبو عبقرية الرجل، وهي الأمور التي تحتاج إلى الحدس أكثر من المحاكمة، وثمة أمور تتركها للرجل معترفة بتفوقه، وهي الأمور المحتاجة للتخطيط والتنهيج والتنظيم.

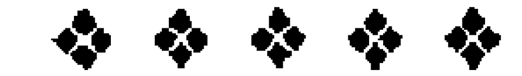
إن معناه أن عاطفتها موحدة مع عقلها لا يفصم بينهما فاصم، ولا يفرق بينهما مفرق، ولذلك فهي لا تفهم منطق الرجل الذي يقوم على المحاكمة الباردة والمصلحة المطلقة. إن معناه أن تعطي أو تمنع، وإن كانت في معظم الأحيان معطاءة، وأن تحب أو تكره وإن كانت إلى المحبة والتسامح أقرب.

وفيما عدا ذلك ففي النساء الذكية والغبية، وفيهن الخيِّرة والشريرة، وفيهن صاحبة الميل الفني وصاحبة الميل العلمي وصاحبة النزعة العلمية.

وفي كل الأحوال يجب أن يكون للمرأة ما للرجل من حقوق وعليها ما عليه من واجبات تعمل لوطنها كما يعمل وتقدم للإنسانية ما يقدم.

وفي كل الاحوال لا يستطيع وطن على وجه أرضنا اليوم أن يصل إلى ما يصبو إليه من تقدم ورفعة إذا هو غمط المرأة مثل هذه الحقوق، ونظر إليها غير هذه النظرة.

هذا جواب سؤالك أيتها الحبيبة أذكرك به اليوم لأقول لك شيئاً آخر.



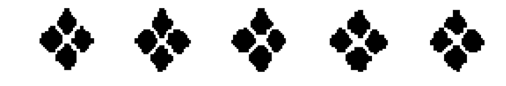
المرأة والعمل

ـ بنيتي :

إذا وافقتني على ما قلت عن المرأة، فهمتِ لماذا أقول لك دوماً: بأنني حريص على أن تكون لك مهنة، لماذا أريدك أن تستكملي دراستك الثانوية ثم الجامعية لتنتقي لنفسك مهنة تمكنك من العيش الشريف.

لعلك سمعتِ أمك وأنا نقول أكثر من مرة: بأننا لا نريد أن يكون زواجك موضع بحث أو حديث قبل أن تتخرجي من الجامعة، وأن تزاولي المهنة التي تنتقينها لنفسك، ولعلك قد سمعت منا مرة ومرة أننا لن نقسرك على مهنة بعينها، وأن كل ما نريده لك هو أن تختاري لنفسك مهنة تمكنك من العيش الشريف الكريم، وتمنحك من الحرية والاستقلال ما يحفظ عليك كرامتك الإنسانية وحريتك الواجبة لك وتحررك من العوز والفاقة والخوف من الجوع.

على أننا لا نحب لك أن تفهمي من كلامنا أن الأمومة ليست عملاً، وأن إدارة المنزل بطالة وكسل، وأن المرأة التي لا تعمل خارج المنزل تفقد عزتها وكرامتها، كلا ما لهذا رمينا، وإنما الذي قصدناه هو الناحية المعنوية من الأمر قبل الناحية المادية.



أنت... والجمال

ـ يا بنيتي :

ما دمت قد تعرضت لأمر زواجك فلأقل لك الآن ما أعتقد أن من واجبي أن أقوله لك بخصوص أنوثتك وزواجك وأمومتك وبيتك.

أما عن أنوثتك: فأحب لك أن تعرفي أنها منحة خيِّرة، ووديعة ثمينة، فتعهديها بالعناية واحرصي عليها بذكائك ونميها بعاطفتك وزينيها برقتك وحسن فهمك وأغنيها بحنانك وعطفك.

اذكري أن الأنوثة أهم من الجمال، إنها سر الجمال، واعلمي أن الجمال اليوم أصبح يمكن جلبه، وتأكدي أن جمال الروح أعظم بمرات من جمال الجسد، وتأكدي أني لا أتحدث عن أوهام أو خيالات.

أريدك أن تدركي بعض الحقائق البسيطة الهامة التي تقوم وراء كلامي السابق والتي لا ينبئك بها إلا رجل عاش عمره أو كاد.

أريدك أن تعلمي: أن جمالاً لا تدفئه أنوثة صحيحة أقرب إلى جمال المرمر المنحوت منه إلى جمال اللحم والدم، وأريدك أن تفهمي أن أنوثة حنونة تغني عن كثير من الجمال، وأريدك أن تدركي أن الأنوثة والحذلقة عدوان لدودان، وأنها والبغضاء لا تجتمعان، وأن الحقد والحسد والانتقام مفسدات للجمال، قاضيات على الحسن، مزيلات للملاحة والرواء.

أريدك أن تعرفي هذه الحقيقة البسيطة عن الجمال: الوجه مرآة النفس ينعكس عليه ما فيها من أفكار وعواطف ونيات.

وأريدك أن تؤمني بأن السعادة مفتاح الجمال، وإن الاتزان والانسجام سر السعادة، كما أريدك أن تتأكدي أن السعادة مصدرها الذات ومنبعها العقل الذكي والعاطفة المتزنة والعمل المخلص.

لا تفهمي يا بنية، من كلامي أني أدعوك لإهمال جمالك، ألف كلا إني على العكس أهيب بك أن تعني به بغير مبالغة وأن تتعهديه بذوق وحسن إدراك، وأن تعطيه من وقتك وتفكيرك ما يحفظ لك حسن المظهر ولطف المعشر، وما يفتح لك مغاليق القلوب...

والجمال سيبقى أبداً رأس مال ثمين للمرأة...

ولكني أعيذك من الإفراط، وأؤكد لك أنه حتى الرجل الذي يعجب بغانية

متبرجة لا يحب لزوجه مثل تبرجها، وإن أشد الرجال استهتاراً يستحي بزوجة كل امتيازها ألوان فاقعة وعطور صارخة ومشية راقصة وثياب تفضح ما يجب أن يستر... .

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

المرأة والرجل والزواج

ـ يا بنية :

لقد حدثتك عن واجبك في التعليم والاستعداد للحياة والعمل، وحذرتك من الحذلقة. فهل أدركت ما أرمي إليه؟!

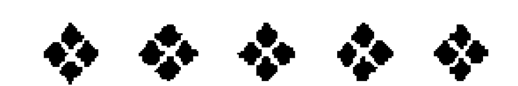
لقد أردت أن أقول لك: إنه إذا كان الرجل المتحذلق مكروهاً مرة فالمرأة المتحذلقة مكروهة عشر مرات، والمرأة لحداثة عهدها بالتعليم، وبسبب من قلة المتعلمات نسبياً أسرع وقوعاً في الحذلقة وأشد استعداداً للإصابة بها، فحذار من الحذلقة، واعلمي أن زينة العلم البساطة وحلية المعرفة التواضع، وأن الرجل لا يُنفره من المرأة شيء كحذلقتها. واعلمي أن ما من شيء يجرح الرجل زوجاً أو ابناً أو أخاً مثل إظهارك إياه بمظهر الجاهل، تتضاءل معرفته إزاء معارفك، فتتصاغر رجولته إزاء أنوثتك.

وأما عن زواجك فلا أقل من أن أقول لك: إن الزواج أمر من الخطورة والأهمية بحيث يستحق أن تستعدِّي له وتتأهبي، وأن تعرفي عنه وتتبصري، وإلا أفليس غريباً أن يتحضر الإنسان لكل شؤون حياته ما عدا زواجه؟ أليس عجيباً أن يتهيأ لوليمة يقيمها وسفرة يقوم بها ولا يتهيأ لزواجه؟!

إن الناس في البلاد المتقدمة يحضرون لزواجهم في البيت والمدرسة والمعبد والنادي وعن طريق الجريدة والمذياع والمحاضرة وغير ذلك من الأسباب. ثم إن الزواج حادث هام لا تكفي فيه خبرة الأم أو حديث الخالة والجدة، بل لابد من سماع كلمة العلم في ميادينه المختلفة: ميادين الجسد وميادين النفس وميادين الاجتماع.

الزواج علم وفن، والحياة الزوجية يجب أن تقوم على أساس من الوعي والإدراك والمعرفة، وهي بغير ذلك منتهية إلى ما لا يحبه إنسان لنفسه من انفصام أو تعاسة.

ولا تقولي ما يقول الجهلاء من أن ملايين الناس قد تزوجوا من قبلي وعاشوا سعداء دون علم أو معرفة أو تحضير، لقد عاش الناس من قبل دون طب راق أو كهرباء ساطعة أو اختراعات حديثة، أفيبرر هذا الاستغناء عن كل هذه النعم! إن عصرنا الذي نعيش فيه عصر العلوم الإنسانية وتطبيقاتها التي دللت على فوائدها الجمة، فلم لا تنعمين بما يسره لك حظك منها؟! إذن اتفقنا على ضرورة استعدادك لحياتك الزوجية المقبلة، فاسمعي بعض الحقائق عن هذه الحياة.



نظرة الرجل إلى المرأة

أحب لك أولاً: أن تعرفي هذه الحقيقة الساطعة البسيطة التي يجهلها كثير من الفتيات، ألا وهي أن الرجل لا يحب المرأة الرخيصة، ولا يعطيها اسمه. إنه يعتقد صواباً أو خطأ أن المرأة التي تزل معه تزل مع سواه، وأن المرأة التي ترخص نفسها له ترخصها لغيره.

ولا يغرنك ما يقوله بعض الرجال لبعض الفتيات من أن المرأة العصرية المتقدمة غير المرأة القديمة المتأخرة، وأن رجل اليوم غير رجل الغد، وأن رجل اليوم لم يعد يلقي أهمية على ماضي زوجه أو صداقاتها السابقة، إن هذا محض كذب وغش، وإن هذا الشخص بالذات أبعد الناس عن غفران أية زلة أو نسيان أية خطيئة، إن زينة المرأة السرمدية في كل زمان وفي كل مجتمع عفتها، وإن الرجل، كل رجل، لا يحترم ولا يحب إلا المرأة العفّة، وتأكدي أن الرجل الذي يأخذ بيدك إلى الخطيئة ـ لا سمح الله ـ هو آخر من يتزوجك وإنه إن فعل ـ بوحي من ضميره في النادر وبضغط من المجتمع في الأغلب ـ أقول: إنه إن فعل فإنه لن ينسى زلتك وسيجبرك على العيش في جحيم ظنونه واتهاماته وتلميحاته.

وأحب لك ثانياً: أن تعلمي أن الرجل لا يرغبه في الفتاة شيء أكثر من حيائها، ولا يدفعه إليها أمر أقوى من تهذيبها وخَفَرِها، ولا يحببه بالمرأة خصلة أهم من بساطتها الذكية ولياقتها الأصيلة غير المتكلفة، على أني لا أريدك أن تضيعي بين الحياء الذي من الطبيعي وجوده في الفتاة السوية، وبين الخجل المرضي الذي يجعلها أضحوكة وألعوبة.

الحياء صفة أصيلة في المرأة تجد أساسها في عفتها وبراءتها، وتفرض احترام المرأة والتأدب في حضرتها على الرجل، كل رجل، أما الخجل فمرض الحائر بين الظهور والرغبة في الانزواء، إنه مرضُ الذي يشعر بقصوره، ويرغب في مزيد من البروز.

وأحب لك ثالثاً: أن تري معي أنه إذا كان لا ضير على الفتاة المهذبة من الحب الشريف، فإن الحق كثيراً ما يختلط بالباطل، وإن في الناس من يحسن الزعم ويتقن الكذب، ومن يغرر بالطيبات الشريفات، والإنسانية مع الأسف، لم تستطع حتى اليوم اكتشاف ميزان للحب كميزان الحرارة يضعه الإنسان على قلب زاعم الحب ليقيس درجة حرارة قلبه وصدق حبه، ولذلك كان لابد للفتاة الذكية الواعية من أن تسمع الكثير، وأن تشجع القليل، وتصدق الأقل وتتحصن بالخلق القويم والفهم العميق لتميز بين الغث والسمين، وبين الحق والباطل.

ولا تفهمي، يا بنتي، أني أنكر الحب أو أتنكر له، على العكس، أنني أؤمن به أعمق الإيمان، وأعتقد مخلصاً أنه أعظم القوانين البشرية وخير قواعد السلوك، وأفضل أنواع التعامل بين الناس، ولكنه كالذهب الخالص.

يزيِّفه اللصوص ويغشه من لا خلاق لهم.

ومن هنا كان حرصي على أن تعوذي بخلقك القويم وعقلك النير كلما استبهم عليك الطريق وحزبك الأمر.

وإني وإن كنت قد قررت لك فقدان ميزان تقاس به العاطفة، فإني دالك على معيار أخلاقي قد يفيدك إذا ادلهم عليك الخطب، إنه القاعدة البسيطة القائلة: بألا

تفعلي في السر ما تستحين منه في العلن. أظن أن هذه القاعدة الأخلاقية عاصمتك من كثير من مواقع الزلل التي يوحي بها الرجل الشرير أو النفس الضعيفة.

ولن أترك حديثي إليك عن الحب قبل أن أقول لك: إني لا أؤمن بالحب الصاعق ولا أعتقد بأصالته وصحته، إني أعتقد أنه في معظم الأحيان نزوة عابرة تأفل بالسرعة التي بزغت بها، وأنه في الأعم الأغلب دليل نفس غير متزنة وعقل غير بصير.

هذه عقيدتي وهذه خبرتي، وما أظنك تخطئين لو صدقتني.

كما أني لا أحب أن أترك حديث الحب قبل أن أقول لك: إني مؤمن بأن الحب يقوم أول ما يقوم على الاحترام والتقدير، وإن الاحترام ينهض على أساس من المعرفة.

وأخيراً أذكر لك أن الحب الحقيقي هو الحب الذي ينمو مع الأيام، يزداد مع التعايش، ويزدهر بالحياة المشتركة، فلا عليك أن بدأ حبك صغيراً ثم نما قليلاً ثم زاد.

وأحب لك رابعاً: أن تعلمي أن النجاح في الزواج أمر يجب أن تريديه، وأن تعملي له، وأن تبذلي في سبيله، وأن تضحي من أجله، وقاعدتي هنا بسيطة أيضاً: إذا لم توطدي النفس على ملاقاة شريكك بعد ثلاثة أرباع الطريق، فإنك لن تلقيه في منتصفه.

اذكري أن الزواج بداية حياة جديدة، وأن الذي يقبل أن يتزوج، يحزم أمره أن يعايش إنساناً له غير طبائعه وخلاف عاداته، وإنه إن لم يتنازل عن كثير مما عنده، فإن الآخر لن يتنازل عن قليل أو كثير مما يريد. اعقدي العزم، يوم تتزوجين، على أن ينجح زواجك، واعملي من أجل ذلك، وزواجك لن ينجح إلا بحبك الأكيد لزوجك وبيتك، وبتضحيتك من أجلهما واستعدادك لفهم الرجل الذي ربطت مصيرك بمصيره، فهم آلامه وآماله ومقاسمته أفراحه وأتراحه ومشاركته سراءه وضراءه.

لا تنسي أن الزواج السعيد لا يمكن أن يكون حظاً ولا نصيباً، بل هو جهد وعمل وذكاء ولباقة وحسن فهم وقديماً قال شوقي:

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا ... وفاز باللذّ من لم يألُه طلبا

ولعلك سائلتي يا بنية عن سبب التعاسة الزوجية وعن مسؤولية الرجل فيها، وعن العدد العديد من النساء الطيبات اللواتي لا يجدن في زواجهن إلا الصاب والعلقم؟ وإني لأعترف لك مسرعاً أن في الرجال السيئ السفيه، وأن فيهم المطلاق الخسيس، وأن فيهم...وفيهم...

ولكن هل يبرر ذلك كله ترك الأمر للحظ والصدفة والقعود عن الاستعداد لأخطر حادث من حوادث حياتك... اعقلي ثم توكلي...

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

المرأة في بيتها

ـ بنْتي :

إذا كنت قد تهيأت لأنوثتك وزواجك، فما أجدرك أن تستعدي لبيتك وإدارته لمملكتك الصغيرة وجنتك الوارفة وعشك الجميل. والشيء الأول الذي أريدك أن تعرفيه هو أن البيت يجب أن لا يكون جنتك أنت فقط بل جنة زوجك وأولادك أيضاً، والأصح أن أقول: إن البيت لا يمكن أن يكون جنتك إذا لم يكن جنة زوجك وأولادك، إنه جنة بهم جميعاً وإلا فإنه ينقلب إلى جنة مهجورة وما أصعب العيش في الجنان المهجورة!

ولا يمكن أن يكون بيتك جنة لكم جميعاً إلا إذا عملت ذلك وجهدت في سبيله.

الجنة مكان جميل فليكن بيتك جميلاً، إني أقول جميلاً ولا أقول غنياً، إذ إني أعتقد أنه ليس من الضروري أن يحتوي بيتك على الأثاث الفاخر والرياش غالي

الثمن لكي يكون جميلاً، ولكنه يجب أن يكون نظيفاً وأن يؤثث بذوق، وأن يجمل بأشياء لا تكلف كثيراً ولكنها تضفي عليه بهجة وسحراً. قليل من الزهر، وبعض اللوحات الفنية، تناسق الألوان، وحسن الترتيب أمور لا تكلف كثيراً ولكنها تجعل من البيت مكاناً للمتعة والراحة وهدوء الأعصاب وبهجة النفس. لا تفعلي ما يفعله بعض سيداتنا اللواتي يتركن الزهر الطبيعي النضير إلى الزهر الاصطناعي الغالي، ولا تخطئي خطأ بعض الأغنياء الذين يجعلون من بيوتهم متاحف تغص بالطرف والتحف يكدسونها فوق بعضها إظهاراً لغناهم وتدليلاً على قلة ذوقهم، ولا يذهبن بك الظن إلى ما تحسبه بعض فتياتنا من أن ارتفاع الثمن ضمانة الجمال.

هذا من حيث الجمال المادي، أما الجمال المعنوي فأريدك أن تتأكدي أن هروب الرجل من بيته إلى المقهى والنادي والشارع، يُرَدُّ في معظم الأحيان إلى أنه لا يجد في بيته ما يجذبه، ولا يجد في زوجه وأولاده ما يحببه في البقاء إلى جانبهم، أريدك أن تفهمي أن المرأة مسؤولة في معظم الحالات عن هرب الزوج من البيت، إنها مسؤولة لأنها لا توفر له من حنانها وحبها ودفئها ما يحمله على البقاء إلى جانبها والعيش في جوها، والأمر نفسه صحيح عن الأولاد.

ولا تقولي ما تقوله بعض سيداتنا من أن أزواجهن فاسدون بالطبع، وأنهم ربوا على حب المقهى وارتياد النادي وذرع الشوارع.

صحيح أن بعض الرجال كذلك ولكنهم قلة وشذوذ يثبت القاعدة العامة كما يقول النحاة والقاعدة أن ينجذب الرجل إلى بيته حين يكون فيه ما يجذبه ويبقيه.

أما بالنسبة لأولادك فالأمر أهم وأعظم. أحب لك أن تعلمي أن جو البيت مسؤول إلى حد كبير، كبير جداً عن خلق الأطفال وطباعهم وسلوكهم وشذوذهم.

إن بيتاً يبدأ فيه الخصام صباحاً ليستأنف مساء، ويخرج منه الأب إلى المقهى لتغادر الأم إلى الاستقبالات والزيارات، ويفرق الطلاق فيه بين الأم والأب.

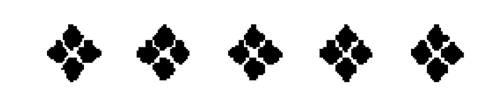
أقول: إن بيتاً هذا شأنه جدير بأن يدفع الأطفال للجنوح ويرمي بهم إلى الشذوذ والإجرام، ومسؤولية الأم في هذا كله كبيرة جداً.

ثم أريدك أن تعلمي أن الزوج، كل زوج مهما كان غنياً أو فقيراً، يسعده أن يرى زوجته سيدة بيته، يسعده أن يراها تعتني بتربية أولادهما ولا تتركهم للخدم والمربيات، يسره أن يأكل من طعام تحضره له هي بنفسها، ولو كان عنده عدد من الطباخين والخدم يفوق عدد أفراد العائلة.

أريدك أن تتأكدي من أن الرجل، كل رجل، يفضل وجبة طعام جيدة على مناقشة علمية أو فلسفية، وأنه يرتاح إلى ملاءة سرير نظيفة تفوح منها رائحة الغسيل النظيف أكثر من راحته إلى مقال تكتبينه أو قصيدة تنشرينها أو بحث علمي تقومين به. لا تمطي شفتيك، إنها الحقيقة أحببت أم كرهت.

ولعلي أدهشك حين أقول لك: إن بالرجل نفوراً أو شبه نفور من المرأة التي تستبدل حنانها بالمناقشة الدائمة وحبها بالجدل المنطقي وعنايتها بالحديث المتصل عن حقوقها وواجباتها.

واذكري أن الحب كفيل بتخفيف أعباء الواجبات وقمين بالتنازل عن كثير من الحقوق، ولا تفهمي من كلامي أني أريدك مهضومة الحق ثقيلة الواجب، كلا ولكني أريدك على أن تنالي كل حقوقك عن طريق الحب الزوجي والبنوي، وأن تقومي بكل واجباتك من خلال حبك الزوجي والأمي.



الأم وتربية الأولاد

ـ إيه بنية :

هذه بعض من ملاحظاتي عن بيتك، أنتقل فيها لأتحدث بعدها عن أمومتك، ولأقول: إن الأمومة صناعة، وإنها علم وفن، وحق وواجب، ومسؤولية وجزاء.

استعدي لأمومتك استعدادك لأي عمل هام من أعمال حياتك، بل استعدي لها استعدادك لأعظم عمل من أعمال حياتك، واذكري أنك بإعطائك الحياة لمخلوق جديد يجاور قلبك تسعة شهور قبل أن تراه عيناك، إنما تحققين أعظم ما في أنوثتك وتنهضين بأروع أعبائها.

لقد أرادتك الحياة مستودعاً لها، ائتمنتك على ذاتها، وأناطت بك بقاءها وتقدمها، وأسرت إليك أعظم أسرارها. فهل بعد هذا من عظمة أو خطر؟! ولقد زودك الخالق سبحانه بقدر غير محدود من الحب والحنان والتضحية تمنحينه أولادك وتغدقينه عليهم.

ولقد أعددناك، أمك وأنا لمهمتك هذه فمكناك من المعرفة وسهلنا لك الاطلاع. فلا تفسدي شيئاً من هذا كله بحواجز مصطنعة تقيمينها بينك وبين أولادك ولا تنسي أن تجعلي منهم أصدقاء أحباء يأتونك بمشاكلهم، ويقاسمونك أفراحهم وأتراحهم ويريحون رؤوسهم على كتفيك نافضين هموم الدنيا بين يديك.

اذكري أنهم يتعرفون على العالم أول ما يتعرفون عليه من خلال معرفتك، وأنهم يتلقون تربيتهم الأولى على يدك، وأنك أنت التي تجعلين منهم أخياراً يدفعون بوطنهم إلى ما يجب له من رفعة وسؤدد، ويأخذون بيد إنسانيتهم إلى ما هو أحسن.

اذكري أنك الصائغ الذي يصوغ نفوسهم ويملؤها بالخير والحق والجمال، وأنك أنت المعلم الأول الذي يصل بين عقولهم وحقائق هذا الكون، وقلوبهم وحب هذا المجتمع وإرادتهم والعمل للمثل الأعلى.

اذكري أنك أنت وحدك القادرة على جعلهم أبطالاً يعيشون للعدالة والحرية والسلام، أو جبناء رعاديد منافقين، تزدوج شخصيتهم وتتبعثر جهودهم، وتلتوي عقولهم وتمتلئ قلوبهم بالحقد والشر والمهانة.

اذكري هذا وسواه واعملي على أن تنهضي بمهمتك خير نهوض، واعلمي أنك ملاقية جزاءك في هذه الدنيا، في أشخاص هؤلاء الأولاد وتصرفاتهم وأخلاقهم ومعاملتهم إياك ومواقفهم من حقائق هذا الكون.



هذا رأيي... وأنت حرة

ـ بُنَيَّتي :

هذه ملاحظات سقتها إليك عن عالمك وأنوثتك وحياتك المقبلة، لم أبغ من ورائها أن أصب عقلك في قالب عقلي أو أن أصوغ عاطفتك وفق عاطفتي أو أن أجعل عملك نسخة من أعمالي، كلا ألف كلا... ولكني شعرت أن من واجبي أن أضع بين يديك خبرتي ومفاهيمي، وأنا على مثل اليقين بأنك واجدة فيها الصحيح والخاطئ، وأنك آخذة منها ما ترينه صواباً وتاركة منها ما تعتقدينه خطأ.

ولقد ربيناك، أمك وأنا، على أن يكون لك رأيك المستقل، وأن تكون لك شخصيتك الفردية، وحرصنا على تزويدك بكل ما ينفعك من أجل النظرة الصحيحة والرأي السديد، ولكننا اعتقدنا ـ وما زلنا ـ أن هذا لا يعفينا من إسداء النصح وإظهار الرأي ولك بعد هذا أن تحيي حياتك بما يهديك إليه عقلك وما يدلك عليه قلبك، وما تدفعك إليه إرادتك ونحن واثقون من عقلك وقلبك وإرادتك.

كلأك الله بعين رعايته، وألهمك سداد الرأي وصواب العمل، وجزانا عن تعبنا بنجاح يكتبه لك، وسعادة يمتعك بها، ولك قبلات أبيك.



إلى ابنتي شيرين[1]

١ـ مشاعر أب نحو ابنته

❖ ـ ابنتي الحبيبة شيرين:

إننا متألمون لفراقك... ونشعر بأنك مازلت بيننا... وهكذا الفراق دائماً... مزيد من العذاب والألم... وفي الواقع أني في غير حاجة إلى مزيد من هذا الألم... فأنا أرى الأشياء تنهار وتتداعى وتذوب... وتخلف آثاراً كالتي يخلفها الحريق...

كانت رسالتك بلا تاريخ... ولم يكن فيها كل شيء...

أين أحلامك التي وعدت بأن تقصيها عليّ... أليست هناك أشياء أخرى مما ينبغي أن يقال؟ أنا في شوق لأن أسمع كل شيء عنك كل ما أملكه تحت تصرفك.. لأنه لا شيء عندي أغلى منك...

ولأنك صغيرة وقليلة التجربة، فيجب أن تشعريني برغبتك في الإقدام على أي تصرف...

يجب أن تشتري سواراً ثميناً وساعة ممتازة، ولكن لا تختاري الأشياء المعقدة، فهي لا تلائم شخصيتك كما أنها لا تلائم الذوق الحديث...

---

(١) إلى ابنتي شيرين: كتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م عن دار تهامة في جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم (١٢) وهو يتضمن ستين رسالة تقريباً أرسلها الأستاذ الكاتب حمزة شحاتة إلى ابنته شيرين، بعد أن فارقته ورحلت مع زوجها إلى بلد آخر، عبر فيها عن مشاعره، وعن كل ما ينبض قلبه من الحب.

ـ كتب الأستاذ عزيز ضياء مقدمة للكتاب، واستهلته شيرين بنت حمزة شحاتة بكلمة من القلب.

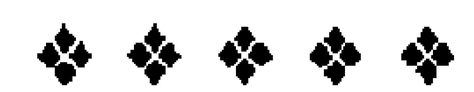
ـ نقتبس من هذا الكتاب (إلى ابنتي شيرين) بضع رسائل مع وضع عنوان لكل رسالة منها...

رسائلك التي أنتظرها يجب أن تعطيني صورة كاملة لحياتك... حرام أن لا أعرف عنك كل شيء... لأستطيع أن أملأ شعوري بحرماني منك... أيضاً أخواتك في غاية الشوق لسماع أي شيء عنك!!

كيف وجدت الحياة؟ وما هي المضايقات التي شعرت بها حتى الآن؟... لا تقدمي تحت أي تأثير على تصرفات تخالف ما رسمته لحياتك... كوني دائماً إعلاناً حسناً عني... دعيني أعتز بك وأرفع رأسي... أنت حياتي... وكرامتي... وكبريائي... فكوني دائماً الابنة التي أردتها أن تكون... كنت دائماً على استعداد للموت دفاعاً عنك وعن أخواتك... فاحرصي على كرامتك وكبريائك. أيتها الحبيبة الغالية، يا بنتي الأولى.. يا أملي الكبير...! كنت تقولين وأنت تبكين... سأكون لك في بُعدي خيراً مني في قربي... ها أنت اليوم بعيدة عني... ولكنك إلى جانبي وحولي وأمامي ترددين: بابا.. بابا.. إنني معك... إنني هنا...

نعم أنت هنا ملء فكري... وبصري... وشعوري... وخيالي وملء أملي واعتزازي وكبريائي...

روى لي بضعة موظفين أن موقفك بالقنصلية أمام المسجل كان رائعاً.. ما زال الحديث عنه يسري سريان مثل من أروع أمثلة البطولة وقد رفعت رأسي اعتزازاً بك وقلت: (إنها بنتي) إلى اللقاء يا حبيبتي يا أملي الكبير يا حبي واعتزازي.



٢- التغلب على الصدمات

❖ ابنتي الحبيبة شيرين:

تشجعي ولا تقلقي ولا تخافي... ولكن حاولي أن لا تتسرعي، وتذكري دائماً أن الحياة عبارة عن سلسلة من الصدمات لا نتغلب عليها إلا بالمزيد من الصبر والقدرة على التكيف...

لا شيء في الحياة يتحقق أيتها الحبيبة بغير جهد وصبر وعراك دائم مع متناقضاتها...

هذه كلماتي دائماً لك ولأخواتك... طبعاً أؤكد أنك تحفظينها عن ظهر قلب لطول ما سمعتيها وضربت بها عرض الحائط وطوله.

إذا كنت مريضة أو قلقة... اشرحي لي كل شيء بوضوح... وأبدي رغبتك بصراحة تامة... حاولي أن لا تنسي شيئاً...

الرياح العنيفة تهب دائماً فجأة...

إن كل صدمة أو اضطراب نتيجة لخطأ أو لجملة أخطاء، المهم أن نعرف أخطاءنا ونفهمها... ولا شيء يستحيل إصلاحه...

مهما كان الإنسان طيباً... ليس معنى هذا أنه أكثر أو أقل من إنسان، والإنسان دائماً عرضة للخطأ والتحول حسب مؤثرات حياته واختلاف انفعالاته... ترى ما الذي وجدتيه في تجربتك ينطبق مع هذه اللوغاريتمات وجداول الخطأ والصواب التي سمعتيها ملايين المرات؟..

قولي كل شيء واقترحي الحل، ولن يكون إلا ما تريدين...

أدعو لك بالصحة والهدوء والتوفيق، لا تخافي وكوني واثقة...أنني معك وأنك لن تكوني وحيدة... مهما أحسست أنك بعيدة!! قبلاتي وتمنياتي ودعواتي لك أيتها الحبيبة وإلى اللقاء.



٣. استفيدي من التجارب

❖ . ابنتي الحبيبة شيرين:

الحياة كلها عبارة عن سلسلة لا تنتهي من التجارب... والذي يحاول أن يجنب أحداً تجاربها الفاشلة... إنما هو العكس كمن يحبس طفلاً لكي لا يتعرض لأخطار الشارع...

إن لكل خبرة ولكل تجربة ثمنها... وما دمنا نعرف مسؤوليتنا عن أخطائنا فلنا حريتنا التامة في التجربة...

هناك من يتضررون بأخطائنا ومن يحملون نفس أو مثل مسؤوليتنا عنها... من أجل هؤلاء... من أجل حمايتهم من أخطائنا وجب أن لا يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء متى شاء...

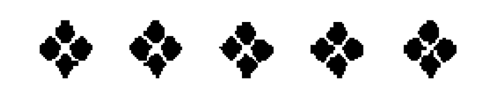
هذا هو مبرر التدخل في حرياتنا من جانب الآخرين...

كانت النظرية فردية أو عائلية محدودة... ولكنها الآن أصبحت نظرية المجتمع كله... وفي بعض الاعتبارات تتطور النظرية لتشمل الإنسانية... تذكري يا بنتي الحبيبة أن حياة الناس مملوءة بالمخاوف من كل تجربة جديدة... وخصوصاً التي تكون أشكالها وصورها براقة... إنهم يعرفون خلال تجاربهم أن كل تجربة مريرة تلبس دائماً ملابس مغرية...

هذا ليس محزناً... المحزن أن تتم عمليات الترسب لآمالنا في الآخرين... وآمالهم فينا بسرعة لا تصدق...

إن تكوين الحياة على هذه الطريقة تكوين يجعلها ممتعة ولذيذة... حياة كفاح وتجربة وتغلب على المصاعب... ورؤية مباشرة لمتناقضاتها... إن الكفاح لذيذ... ومواجهة التجارب المريرة القاسية، تخلق للإنسان قوة وقيمة وتخرجه من ظل التفاهة.. يجب أن يكون العلم والتفوق غاية من غاياتك.

كل عام وأنت بخير، وقبلاتي لك أيتها الحبيبة.



٤. واجهي الحياة بقوة

❖ . ابنتي الصديقة شيرين:

النقاط المتوهجة في رسالتك مثيرة لأقصى الاهتمام، لما تحمل في طياتها من شحنات القوة، وتفجر طاقة القدرة التي تشبه ينبوعاً مندفعاً متدفقاً يصور روعة الرغبة في التفوق تجيش به نفس عميقة الأغوار...

حسن جداً أن تتخلصي بسهولة من ضعف الرومانسية وأحلامها المتداعية التي تظل بها العواطف المتهافتة منبعاً ومصباً... مخرجاً ومدخلاً لنشاطنا النفسي والعقلي والروحي...

وحسن جداً أن تدركي أن الحياة معركة تحقيق الغايات العليا فيها، هو الانتصار.. وهو الحياة في أروع صورة لها...

الماجستير... والدكتوراه... الثقافة...

هذه هي الأهداف التي تحقق بها الذات قدرتها وسلطانها على تغيير كل ضعف إنساني... إنها أيضاً وسائل بالنسبة إلى ما يمكن تحقيقه بها من غايات.

إن غايات الحياة والعقل والقدرة لا تنتهي... وهذا ما يجعل الحياة تجدداً مستمراً... ومتعة دائمة... وأمجاداً مضيئة...

كم أنا سعيد بتدفق هذا الطموح الذي أرجو أن يصاحبك فيه التوفيق...

إن مستقبلك الوضاء هو هذا... وإن عدتك له هو الجسم الصحيح، والعقل السليم... إن أي انحراف في صفاء عقلك ونفسك، يعود غالباً إلى انحراف في صحة الجسم... أنت أحوج ما تكونين إلى صفاء الذهن والنفس وإلى توفر الشعور بالاستقرار... لا تعكِّري صفوك بالتفكير في معطيات العلاقة ولا في احتمالاتها.

ماذا سيحدث؟ ما المصير؟ ماذا يضمر الآخرون؟

دعي كل هذا لله... إن محمداً ﷺ يقول: «ما أصابك لم يكن ليخطئك... وما أخطأك لم يكن ليصيبك»

ضعي بينك وبين المشاعر الرومانسية سوراً من الحديد.

لا تجعلي نفسك ميداناً تصطرع فيه نفسك مع نفسك، فذلك خليق بأن يحيلك إلى عجوز في العشرين...

لا تدعي للمخاوف سبيلاً إلى نفسك وعقلك﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] هذا كلام الله عز وجل.

ضعيه أمام عينيك وفي نفسك وعقلك مبدأ...واقتلي الخوف واقتلي وساوسه.

والآن ألا تجدين في نفسك صدى لكلامي؟ صدى يدفعك إلى أن تودعي المرأة «الغلبانة» إلى الباب الخارجي وأن تقولي لها بصوت ثابت قوي، مع السلامة... وإلى غير لقاء...

حذار أن تفرطي في قوة شخصيتك... وتذكري أنك من خير من تؤهلهن قواهم المعنوية والروحية لاحتمال المسؤوليات والتعرض لها... واجتذابها..

كوني رقيقة لطيفة مخلصة، وصلّي... وحافظي على الصلاة، وعلى تلاوة القرآن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وتقربي إلى الله بالنوافل وهي الصلوات غير المفروضة فإن من يتقرب إلى الله بها، يضع مفاتيح سعادته واطمئنانه في يديه، واسمعي قول الله عز وجل كما ورد في الحديث القدسي: «ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي ينظر بها وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يضرب بها وقدمه التي يمشي بها»[١].

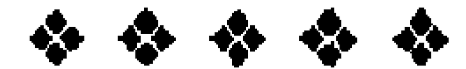
سدد الله خطاك، وأبعد عنك الشيطان ووساوسه وجعلك قدوة مثلى وداعية خير لبنات جنسك، ودفع عنك الضيق والقلق والفزع.

جاهدي نفسك في ذلك، وستجدين كل ما ينقصك من السعادة والطمأنينة والسكينة.

وبعد فكأني بك وقد أصبحت امرأة تنقاد لها الدنيا بخير ما فيها، إلى خير ما فيها...

دعيني الآن أغطي وجهك بقبلاتي وتمنياتي لابنتي الصديقة...

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى...



---

(١) ورد الحديث في صحيح البخاري كما يلي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه».

٥. حسني الظن بالناس

❖ إلى ابنتي الحبيبة:

شكراً للتهنئة الرقيقة والتمنيات السخية التي عبرت عنها بالعيد، إنها كلمات من قلب صادق العطاء والشعور...

لا تخافي من المستقبل... واعملي دائبة كل ما تستطيعين في صبر وثبات ودعي المستقبل لله...

حسن أن تمتلئ نفسك شعوراً بالخير والرحمة نحو الآخرين، ولكن حذار من الشبهات...

ضعي بين عينيك ما ينفعك ويرفعك حباً ورصانة وترفعاً عن الابتذال وصحبة المبتذلين، ترتد عنك نظرات الفضول وألسنة السوء...

ليكن كلامك في المجتمعات قليلاً إلى حد الصمت، كوني متحفظة... ومحافظة...
لا تنتقدي الناس مع الناس، حتى لا تكون كلماتك مدار المؤاخذة والتشويه، والصديق يروي كلامك إعجاباً واستشهاداً به والعدو يعتبره نقداً موجهاً إليه.

هناك دائماً من يحسدونك فيحاولون تشويهك، وتجريحك... وهم مع ذلك أصدقاء وطيبون...

ضعي لنفسك خط سير عملياً... العلماء لا يتكلمون كثيراً... ولا يناقشون، ولا يرفعون أصواتهم... إنما يسيرون في طريق ما يهتمون به فقط.

لتكن أعمالك ذكية... وكلامك مع الناس خالياً من الذكاء...

تواضعي... ابتعدي عن الغرور... إذا كنت تعلِّمين أحداً حاولي أن تجعليه يشعر بأنك تتعلمين منه، سيكون صديقاً ومدافعاً صادقاً عنك، وإعلاناً حسناً.

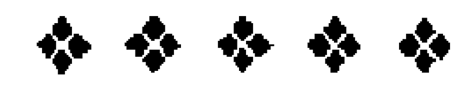
لست صغيرة لأسمعك هذا... ولكنك بحاجة إلى أن تسلكي إلى نجاحك طريقاً خالية من العوائق والعثرات.

مهما بدا أن المجال حولك بسيط ومفهوم وواضح فهو ليس كذلك.. بل على عكس ذلك..

لا تقذفي في الآخرين بالكلمات... يقذفونك بالحجارة... تجاوزي معايب الآخرين... كأنك لا تعرفين شيئاً... دعيهم يضحكون من غبائك وستكونين موضع ثقتهم وارتياحهم ودعي معرفتك تنمو وتكبر وتتسع...

إنها صورة من صور إنكار الذات... ترى أتقبلينها أم ستضربين بها الحائط؟؟

الطريق أمامك طويل، والعمل شاق، فلا أقل من أن تكوني قليلة العوائق والمخاطر.. وإلى اللقاء.



٦ـ أنتِ وطفلك...

❖ ابنتي الغالية شيرين:

أنت تحترقين بحدة الشعور وبفرط الحساسية... إن الحياة يا بنتي ليست سوى معركة صبر واحتمال، واتصال بالسماء.. هو علاجك الشافي!!

صغيرك كملايين الصغار من أمثاله، إنك تجهلين ما يحسن تكوينه... والله كفيل به وأنت مستخلفة عليه!! لا تملئي سمعه وأعصابه بالقلق والصوت المرتفع والعصبية... تعلمي أن تسمعيه صوتاً رقيقاً هادئاً... وتريه ابتسامات حانية... دعيه يتحرك كما يريد، وضعي في متناول يده أشياء صغيرة متنوعة براقة يشتغل بها يحركها يدفعها يناغيها... تكلمي معه بهدوء كما لو كان يفهم...

في الدنيا أطفال يولدون وفي أعصابهم حركة العاصفة... قد يكون الواحد منهم زعيماً أو قائداً يرجّ عصره، ويقيم الحياة ويقعدها، كما يقيم أمة ويقعدها... ألا يسرك أن تكوني أماً لهذه العاصفة؟!

صبراً يا أم البنين فالحياة هي الصبر... ابحثي عن قصة اسمها «الأم» اقرئيها...

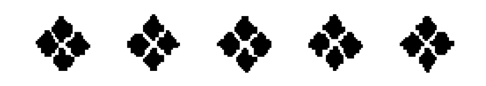
وكتاب «دع القلق وابدأ الحياة» لتحلمي بالانتصار على نفسك أولاً وعلى المتاعب ثانياً...

دربي نفسك على أن تتكلمي بصوت منخفض، وحاولي التخلص من السرعة... وخصوصاً في الإذاعة، وأكثر في البيت وأكثر جداً في حضرة الصغير...

هذا التدريب البسيط سيضمن لك السلامة وسيفيدك جداً...

اقرئي القرآن، وصلِّي الفروض، واقرئي على صدر الصغير، ثم اسألي له ولك الهداية والعافية... وواظبي واثقة بالاستجابة...

قبلاتي أيتها الحبيبة وإلى لقاء قريب بمشيئة الله...



٧. أنت والحياة..

❖ ابنتي الحبيبة:

لا يمكن أن تخلو الحياة من بواعث الشكوى، وأسباب الشعور بالحرارة...

الإنسان وظروفه، الإنسان ونفسه، الإنسان والناس... وتحت كل شيء مشقات لا حصر لها.. نفس الإنسان في تغير دائم من حب وبغض وانبساط وانكماش ومشاعر متباينة تتنافر لتنشد الاستقرار، وتستقر لتقع في التنافر...

والناس بحر لا حدود له وصراع لا نهاية له، ولا نجاة منه، والظروف ما ينشأ من كل ذلك، وما يجيء مفروضاً علينا من خارج ذواتنا وحياتنا، من غامض وظاهر وبسيط ومعقد ومحتمل وغير محتمل إلى آخر ما تصلين به بخيالك... والحياة في إجمالها ليست اختياراً، ولكنها شيء فرض علينا فلابد من استقبال متطلباته على أي نحو، وإذن فعلينا أن نحتفظ بكل قوانا وحواسنا، وأعصابنا في حالة توازن واستعداد للسير مع السائرين...

في مسألة الحياة وقبولها وتقبلها، لا يستطيع الإنسان أن يهرب ليعيش وحده... إنه حيث يعيش منفرداً سيقاتل الحياة وتناقضاتها وصراعها وحرارتها...

وسيجد من البداية... وفي النهاية أن وجوده بين الناس ومعهم أكثر من ضروري، وأن أي تعقيد في الحياة وسوء انعكاساته على النفس والمشاعر، أهون من تعقيد حياة يختارها ويحسبها خالية من المؤثرات والضنك...

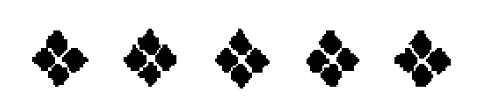
تستطيعين أن تستقبلي الحياة وظروفها وكافة مؤثراتها بفهم بارد لا أثر فيه للانفعال...

هذا يساعدك على تغيير نظرتك إلى الأشياء...

إن الحياة لا تدار لحسابنا... وليست متجراً نأخذ منه ما نريد... كل شيء نتطلبه فيها عبارة عن خام.. أو كتلة من الشوائب، لا بد منها بالعمل والإنفاق حتى نستخلص منها ما نريد...

هكذا العلاقات والصداقة والحب.. والأسرة... والروابط... والمعرفة غايتنا منها، وهكذا الحياة بعبارة قصيرة...

انصرفي إلى دراستك أيتها الحبيبة... ولا تلزمي نفسك بالكتابة إليَّ إلا بالقدر الذي ترين أنه ضروري جداً... ولا يمكن تأجيله... قبلاتي وتمنياتي لك.



٨ـ لتكن أعمالكِ لوجه الله تعالى

❖ابنتي الحبيبة شيرين:

عندما نفعل خيراً للغير، ينبغي لنا أولاً أن لا ننتظر أو نتقبّل جزاء عليه من غير الله... وأن نحتمل ما يقابلنا من مكاره أقلها الجحود، وسوء الجزاء.

إذا كانت القوانين تجهل فالله يعلم... ولتكن أعمالنا لوجه الله تعالى، لا ننتظر حسن الجزاء إلا منه وحده... فهذه أحسن الغايات وأبعدها عن الشبهات... يجب أن تعرفي أن الصدق صدقٌ ما لم يختلط بالكذب، ولو كان يسيراً...

والكذب كذب ولو خالطه الصدق... ولذلك كان قليل الغش ككثيره... والقاعدة الفقهية... ما أسكر كثيره فقليله حرام...

لولا خشية الإطالة لتحدثت إليك عن موازين الأشياء والاختلاف بينها...

ولكن لندع هذا أو غيره إلى أيام اللقاء بمشيئة الله وتوفيقه... قبلاتي وتحياتي...

والدك حمزة شحاته

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

رسالة نهرو لابنته أنديرا[(١)]

جرت العادة بأن تصل إليك الهدايا والأدعية الطيبة في ذكرى ميلادك فالأدعية الطيبة واصلة إليك بأشد ما تكون من الحرارة، ولكن ترى ما الهدية التي أستطيع الإرسال بها إليك من سجن نايني؟

إن هداياي لا يمكن أن تكون مواد أو أشياء جامدة، لا يمكن أن تكون إلا نسيماً طيباً منبعثاً عن العقل والروح كطيف كريم يحمل إليك أشياء لا تستطيع حتى جدران السجن أن تمنع وصولها إليك.

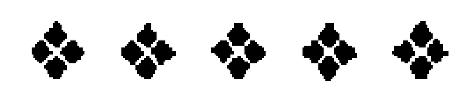
إنني أيتها العزيزة كما تعلمين مبلغ عزوفي عن إلقاء المواعظ والإرشادات وعن الإرسال بالنصائح، إني لعلى ثقة من أنه لا خير في أن أقتحم في كثير من الأحيان مجالات الحكمة...

كنت أعتقد دائماً أن أحسن طريقة لمعرفة الخير من الشر أو ما يجب عليَّ تجنبه هو أن يكون ذلك بطريق المناقشة والبحث لا بطريق إلقاء المواعظ ومن خلال المناقشة والبحث يبزغ أحياناً جزء من الحقيقة.

---

(١) جواهرلال نهرو: (١٨٨٩ـ١٩٦٤) سياسي وزعيم هندي ولد بمدينة الله آباد، تعلم بكلية هارو وجامعة كيمبردج، تتلمذ لغاندي، وانضم إلى حركته الوطنية، سجن أكثر من مرة، وعند قيام دولة الهند (١٩٤٧) م عين رئيساً للوزراء ألف عدة كتب نفيسة.
وفي عام ١٩٣٠م أرسل إلى ابنته بريا دارْشيني أنديرا رسالة في ذكرى ميلادها الثالثة عشرة، وكان في معظم رسائله يشجعها على انتهال المعرفة.

كنت دائماً وما زلت مغرماً بالمحادثة معك، ولقد ناقشنا كثيراً من الأشياء، ولكن العالم واسع جداً، ووراء عالمنا هذا تكمن عوالم رائعة غامضة، لذا ليس من حاجة لأي منا لأن يضجر أو يتخيل، فيصبح مثلنا كمثل ذلك الأحمق أو المغرور، فنعتقد أننا قد استوعبنا كل ما يمكن استيعابه من المعرفة وأصبحنا من أحكم الحكماء ولربما لا نصبح من أحكم الحكماء، لأن أحكم الحكماء ـ إن وجد ـ سيشعر بالكآبة، إذ لم يبق هناك ما يستطيع أن يتعلمه، ويفقد بذلك لذة الاستكشاف، وتعلم أشياء جديدة هي بأعيانها أعظم مغامرة يمكن أن يحصل عليها أي واحد منا. فأودعك وداعاً أيتها العزيزة الصغيرة، وأرجو أن تكوني جندية شجاعة في خدمة الهند مع حبي العميق، وأدْعِيَتي الطيبة[1].



وصية وتضحية

كوثر أم لخمس بنات، مات زوجها وهي في العقد الثالث من عمرها، وخلفت بعد وفاته صبياً اسمه «علاء».

قررت الأم أن تعكف على تربية بناتها، وتعمل على ماكينة الخياطة المنزلية، وتقوم بتعليمهن مهما كلفها ذلك من ثمن.

اعترضت ابنتها نورة، ورأت أن تترك مدرستها لتلازم أمها وتساعدها في الخياطة وفي تدبير البيت معاً، ولكن الأم الجادة الرصينة، قطَّبت جبينها لتقول في حزم:

ـ ليس عندي بنات يهجرن دراستهن ليقعدن في البيت. أنا قادرة على العمل

---

(١) عند بلوغ أنديرا سن الرابعة والعشرين أودعت السجن لاقتفائها خطوات أبيها السياسية، وقد قالت ذات مرة: إن حياتي العامة بدأت منذ كان عمري ثلاث سنوات، ولا يخطر ببالي أني لهوت ولعبت كغيري من الأطفال، وقد كانت أحب مهنة إليَّ منذ صغري إلقاء الخطب الرنانة على الخدم وأنا واقفة على منضدة عالية.
وفي عام ١٩٥٩/ وأنديرا لا تزال تقفو أثر أبيها، انتخبت رئيسة للمؤتمر الهندي، وهو أكبر مؤسسة ديمقراطية في العالم آنذاك.

في النهار، وليس عليكن إلا مساعدتي في الليل، وحين لا يكون لديكن استذكار دروس، وأما البنت التي تهمل دورسها، أو تفكر في الإهمال، فإني حريصة على أن أعلن أما مكن: إنها ليست بنتي!

ويررت نورة اقتراحها:

ـ ولكني لا أميل إلى الدراسة، كما تعلمين يا أمي!

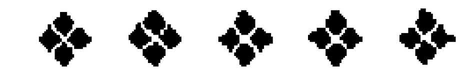
قالت ذلك وهي صادقة في قولها. فما كان ليكتب لها في كل عام النجاح إلى الصف الأعلى إلا مع الجهد الجهيد الذي يبذله أبوها أواخر العام خاصة في تلقينها الدروس تلقيناً!

استرسلت الأم قائلة:

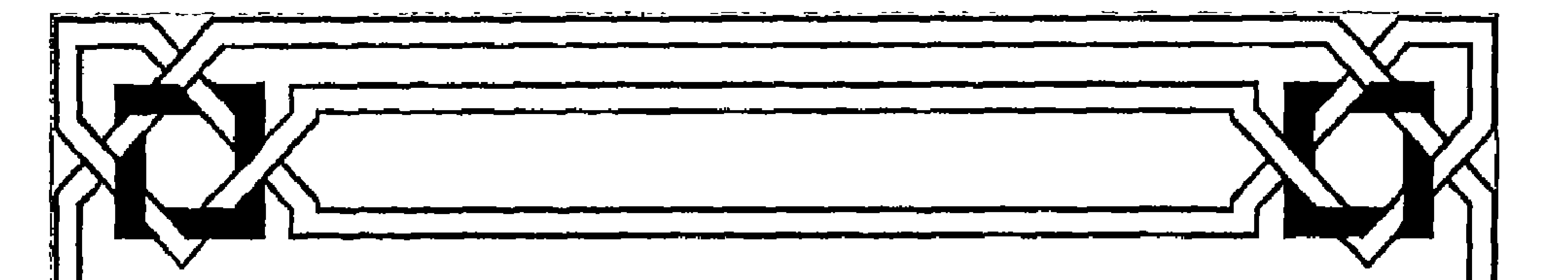
ـ هذا كلام لا أحب سماعه، يا نورة! عليك أن تزيدي من اهتمامك بدروسك أقصى ما تستطعين، لابد من ذلك، فالأسرة تحتاج إليك متعلمة أكثر من احتياجها إليك قعيدة بيت، لسوف تحصلين بعد سنتين على الكفاءة، فتدخلين «دار المعلمات» وهناك تدرسين من غير أن نتحمل تكاليف دراستك، ذلك ما تعرفينه وما ردده أبوك على مسامعك مراراً ـ كما يتاح لك أن تتقاضيْ ـ وأنت لا تزالين طالبة راتباً شهرياً نحن في أَمَسِّ الحاجة إليه، وتتخرجين بعد ثلاث سنوات معلمة مدرسة براتب مرموق، تلك خطة مرسومة تعرفينها، وعندما تتحقق عن آخرها، أدرك أن الأسرة تمشي في الدرب الذي أراده أبوك، وأشعر بالارتياح لأني أثبت لنفسي أني أؤدي واجبي نحوكن، إن الأمل معقود يا بناتي، على أن تصبح كل بنت في الأسرة وفي يمينها شهادة عالية، حتى إذا ضاقت ذات يدي يوماً في تعليمكن، أو أوشكتْ تضيق، ما توانيت عن الخياطة ليل نهار، فإذا لم تؤمن لكنَّ عافيتي الكسب الوافي، بعتُ الدار، دارنا هذه، وسكنا في دار بالأجرة... فبلوغكن غاية التعلم يحيي ذكرى الراحل، ويجلب لنا في الوقت ذاته بدل الدار دارين!!

لقد أَتْرَعَتِ الأم ـ بهذه الوصية ـ قلوب بناتها بالأمل الكبير، بما أثارت فيهن من نزوع إلى أن يبلغن من العلم الغاية التي تنسيهن الفقر، مثلما ترضي طموح الفقيد الثاوي تحت الثرى...

وآتت هذه الوصية أكلها فنالت أكثر بناتها شهادات علمية، وقدمت هذه الأم خلال هذه السنوات كثيراً من العمل الدؤوب والتضحية، مما يشهد لها أنها أم مثالية..!![1].



(١) هذه الوصية وردت في رواية «ثم أزهر الحزن» للأديب فاضل السباعي الصادرة عن مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣ صفحة٢٤ـ ٢٥.
ـ فاضل السباعي: ولد عام ١٩٢٩م بحلب درس الحقوق في القاهرة، عمل مدرساً في ثانويات حلب، وعمل محامياً إلى أن عمل موظفاً في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل. كتب القصة والرواية أهمها رواية «ثم أزهر الحزن» في عام ١٩٦٦ انتقل إلى دمشق يتابع مسيرته الأدبية زار كثيراً من الدول العربية وعدداً من الأوروبية وأمريكا وروسيا.
أسس دار إشبيلية ينشر فيها نتاجه الأدبي الجديد، ويعيد نشر القديم...

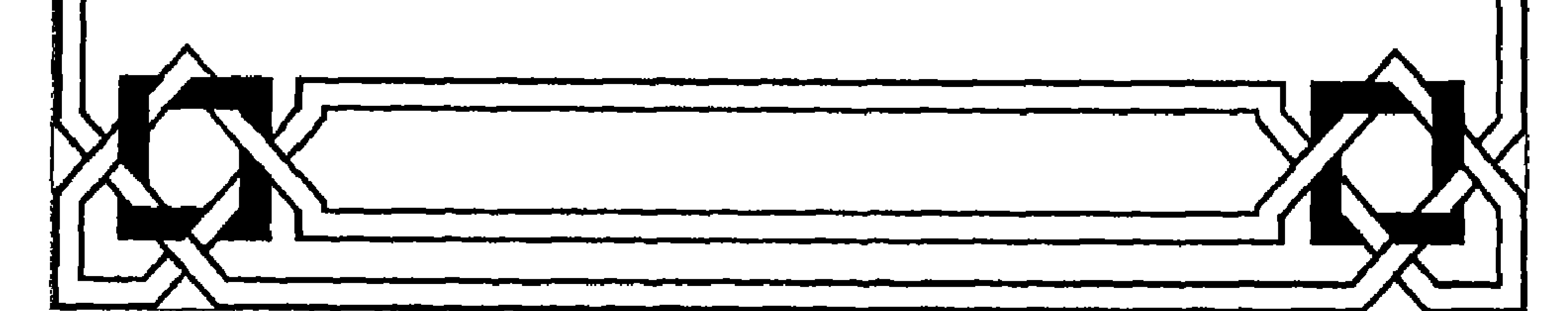


الفصل الرابع

وصايا الآباء والأمهات عند الزواج

- ❖ ١. إلى ابنتي.
- ❖ ٢. عشر وصايا عند الزواج.
- ❖ ٣. لا تميلي إلى هواك.
- ❖ ٤. عليك بأطيب الطيب.
- ❖ ٥. وصية أم معاصرة.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖



إلى ابنتي[1]

❖ يا بنتي...

أكاد أرى خطوتك الطرية تعبر المدى، وصوتك الندي يسافر في طمأنينة وارفة، وأكاد أسمع صوت الطفولة فيك منهمراً، ينادي... فيقفز إليه القلب، وتتسابق إلى موجاته العيون!!

هناك... حيث الغد الذي تنتظرين والأمل الذي تنشدين والحياة التي تحلمين، وهنا... حيث الحضن الذي ستنسلِّين منه، والخوف الذي سيزداد، والنبض الذي يسارع إلى ما لا نهاية.

بين هنا... وهناك، لا توجد مسافة، ولا تتغير الألوان، ولا تتوزع التنهيدات... فقط وحده الطيف يبقى حاضراً، يقص على مسمعي حكايات لا أعرف من أين تبدأ، ولست أدري إلى أين تمضي، ولا أي الموانئ ستستقبلها، وأي النهايات ستقيل في ظلها!!

بين هذين المكانين تولد لغة جديدة، ومساحة جديدة، وعناوين لم تكن مرصودة على صفحة القلب، ولا رفوف الذاكرة، بين هذين المكانين ـ يا بنتي ـ تولد حياة، وتكبر حياة، وينفتح الأفق عن آخره.

يا بنتي. . قبل ذلك كله، اجعلي الله بين عينيك وفي قلبك، بل في جوارحك كلها، واسعي إلى رضاه، واجهدي في مناجاته ودعائه، فوالله ما قصد عبد صالح قويم الخُلُق والقلب ربَّه إلا أعطاه، ولا يمم مسلم صادق باب ربه إلا وتسابقت الملائكة تفتحه له، ليتشرف بكرم الله الذي ما بعده ولا قبله كرم.

---

(١) إلى ابنتي. الدكتورة هند بنت ماجد الخثيلة ـ المجلة العربية ـ الرياض العدد ـ ٣٤٢ ـ رجب ١٤٢٦هـ ـ أغسطس ٢٠٠٥م ص١١٧.

يا بنتي. . . هذه الأمانة حملتها سنين طويلة، وأديتها إليك في كلمات، فاقرئي ما بين السطور، وكوني كما أنت، ابنتي التي أعددت للحياة، منذ أن أطلت عيناها على الوجود، ومنذ أن كتب الله لها نعمة العقل والحياة!.



عشر وصايا عند الزواج

قالت أمامة بنت الحارث[1] توصي ابنتها عند هدائها (زواجها) إلى الحارث ابن عمرو أحد ملوك اليمن:

ـ أي بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة في حسب، لتركت ذلك منك، ولَزَويتُه عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل.

ـ أي بنية، **إنك** قد فارقت الحِواء[2] الذي منه خرجت، والوكر[3] الذي منه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملِكِه عليك ملكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً، تكن لك دركاً وذكراً.

فأما الأولى والثانية، فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرَّبِّ.

وأما الثالثة والرابعة، فلا تقع عيناه على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيِّب الريح، واعلمي ـ أي بنيَّة ـ أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحُسْن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة، فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبةٌ، وتنغيص النومة مغضبة.

---

(١) هي أمامة بنت الحارث الشيباني، فصيحة نبيلة جاهلية، كانت زوجة عوف بن محلّم الشيباني أحد أشراف العرب في الجاهلية (الزركلي: ٢/ ١١).

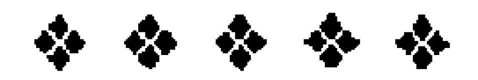
(٢) الحِواء: بيوت الناس من الوبر.

(٣) الوكر: عش الطائر.

وأما السابعة والثامنة، فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حَشَمه[1] وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة، فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

واتقي الفرح لديه إذا كان ترحاً[2]، والاكتئاب[3] عنده إذا كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك[4]، ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت، والله يخيرُ لك، ويصنعُ لك برحمته»[5].



لا تميلي إلى هواك

قال عامر بن الظرب العدواني[6] يوصي ابنته، وقد زوجها ابن أخيه، موجهاً كلامه إلى امرأته ماوية بنت عوف بن فهر:

يا هذه، مري ابنتك، فلا تنزلنَّ فلاة إلا معها ماء[7]، وأن تكثر استعمال

---

(١) الحشم: حشم الرجل: خاصته الذين يغضبون لغضبه، ولما يصيبه من مكروه من عبيد أو أهل أو جيرة (ج) أحشام.

(٢) الترح: الحُزْنُ.

(٣) الاكتئاب: تغير النفس من شدة الحزن والهم.

(٤) تؤثري: تقدمي.

(٥) وردت الوصية في: العقد الفريد ٨٣/٦ـ ٨٤ والمعمرون ص ١١٩ وجمهرة الأمثال ٥٧١/١ـ ٥٧٢.

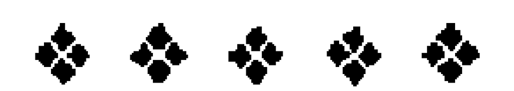
(٦) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد العدواني، حكيم خطيب، ورئيس من الجاهليين. كان إمام مضر وحكيمها وفارسها، وممن حرَّم الخمر في الجاهلية وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً (الزركلي: الأعلام ٢٥٢/٣).

(٧) فلاة: أرض واسعة مقفرة.

الماء، فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جُعل للأعلى جلاءً وللأسفل نقاءً، وإياك أن تميلي إلى هواك ورأيك، فإنه لا رأي للمرأة، وإياي ووصيَّتك، فإنه لا وصية لك.

أخبري ابنتك أن العشق حلو[1]، وأن الكرامة المؤاتاة، فلا تستكرهنَّ زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فإن الرضا الإتيان عند اللذة، ولا تكثر مضاجعته، فإن الجسد إذا ملَّ، ملَّ القلب.

ومريها فلا تمزحن معه بنفسه، فإن ذلك يكون منه الانقباض[2]، ومريها فَلْتَخْبَأ سوءَتها منه، فإنه وإن لا بد من أن يراها، فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفة.



عليك بأطيب الطيب

قال أسماء بن خارجة الفزاري[3] يوصي ابنته هند عند هدائها (زواجها):

ـ يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت، وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب، الماء، وأحسن الحسن، الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمة، يكن لك عبداً، واعلمي أني القائل لأمك:

خـذي مـني تسـتديمي مـودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ[4]

ولا تَنْقُـريني نقـرة الـدُّف مـرةً ... فإنـك لا تـدرين كيـف المُغَيَّـبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يـذهبُ[5]

---

(١) العشق: الحب الشديد.

(٢) الانقباض: الضيق والانطواء.

(٣) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري (٠٠٠ـ٦٦هـ/ ٦٨٦م) تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق، كان سيد قومه، جواداً مقداماً عند الخلفاء (الزركلي: الأعلام ١/٣٠٥).

(٤) سَوْرَة: شدة الغضب.

(٥) الوصية وردت في الأغاني ١٨/١٢٨؛ والبيان والتبين ٢/٤٥.

إياك والغيرة

قال عبد الله بن جعفر[1] يوصي ابنته عند هدائها (زواجها):

ـ يا بنية إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة، فإنها تورث البُغضة، وعليكِ بالزينة والطِّيب، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء[2].

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وصية أم معاصرة[3]

ومع التطور الذي شهدته الحياة في عصرنا الحديث عصر العولمة والانترنت والفضائيات، مازالت الأم هي الأم، ومازال حرصها على سعادة ابنتها عند زواجها قائماً، فقد أوصت أم عصرية ابنتها ليلة زواجها بقولها:

ـ يا بنتي : أنت مقبلة على حياة جديدة، حياة لا مكان فيها لأمك أو أبيك، أو لأحد من إخوتك... ستصبحين صاحبة لرجل لا يريد أن يشاركه فيك أحد، حتى لو كان من لحمك ودمك... كوني له زوجة يا بنتي وكوني له أماً، اجعليه يشعر أنك كل شيء في حياته، وكل شيء في دنياه.

---

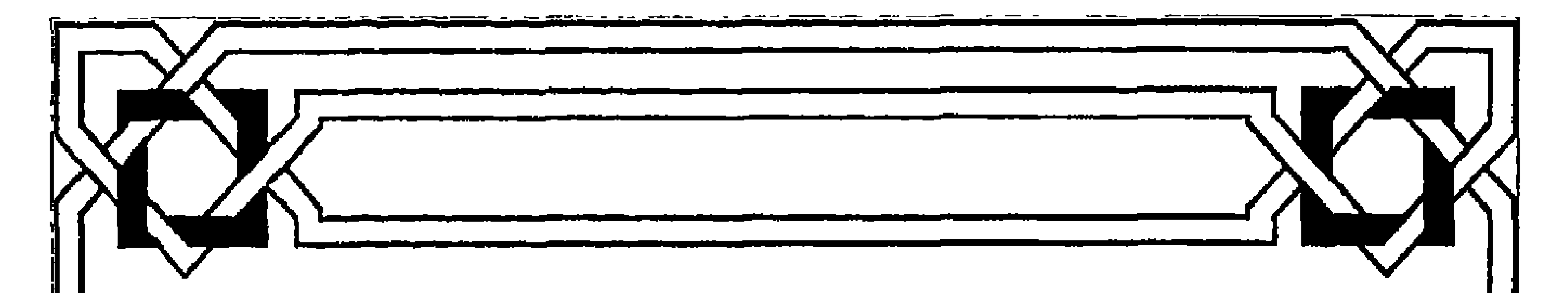
(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (١هـ/٦٢٢م ٨٠هـ/ ٧٠٠م) صحابي وُلد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها. وهو أول من ولد بها من المسلمين، وأتى البصرة والكوفة والشام، وكان كريماً يُسمى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، وكان من الأمراء في جيش علي بن أبي طالب يوم صفين (الزركلي: الأعلام ٧٢/٤).

(٢) البيان والتبيين ٨٨/٢.

(٣) وصايا ذهبية للزواج السعيد ـ نعيمة ناصف ـ المجلة العربية ـ الرياض العدد ٣٤٢ رجب ١٤٢٦هـ، أغسطس ٢٠٠٦م.

اذكري دائماً أن الرجل أي رجل ـ طفل كبير ـ أقل كلمة حلوة تسعده، لا تجعليه يشعر أنه بزواجه منك قد حرمك من أهلك وأسرتك، إن هذا الشعور قد ينتابه هو، فهو أيضاً قد ترك بيت والديه، وترك أسرته من أجلك، ولكن الفرق بين الرجل والمرأة أن المرأة تحن دائماً إلى أسرتها إلى بيتها الذي ولدت فيه، ونشأت وكبرت وتعلمت، ولكن لابد لها أن تعوّد نفسها على هذه الحياة الجديدة، لابد أن تكيف حياتها مع الرجل الذي أصبح لها زوجاً وراعياً وأباً لأطفالها، هذه هي دنياك الجديدة يا بنتي، هذا هو حاضرك ومستقبلك هذه هي أسرتك التي شاركتما ـ أنت وزوجك ـ في صنعها، أما أبواك فهما ماض... إنني لا أطلب منك أن تنسي أباك وأمك وإخوتك، لأنهم لن ينسوك أبداً يا حبيبتي، وكيف تنسى الأم فلذة كبدها، ولكنني أطلب منك أن تحبي زوجك وتعيشي له وتسعدي بحياتك معه.



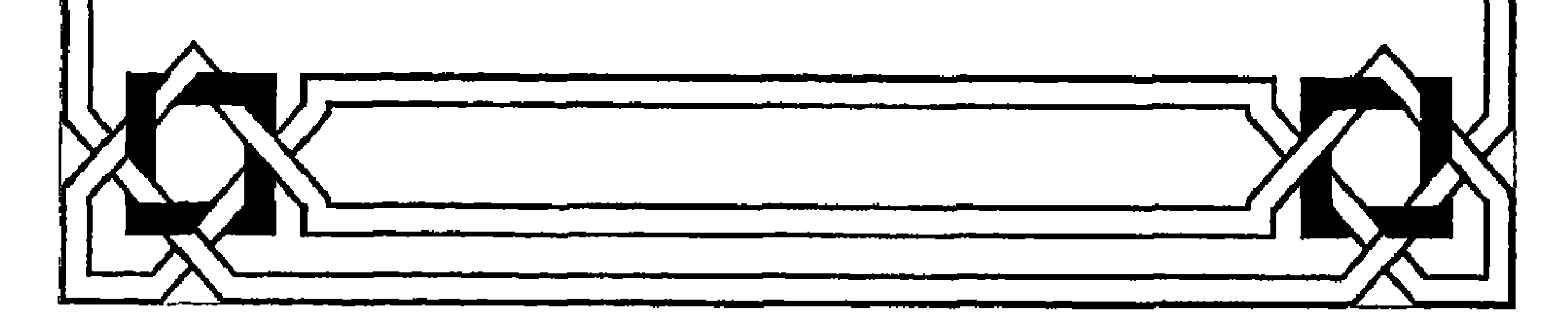


الفصل الخامس

وصايا العلماء والأدباء للفتيات

- ❖ ١. إلى كل فتاة تؤمن بالله.
- ❖ ٢. يا بنتي... هذه نصيحتي.
- ❖ ٣. رسالة حكيم حول تربية البنات.
- ❖ ٤. احذري...!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖



إلى كل فتاة تؤمن بالله[1]

أعني بالفتاة التي تؤمن بالله، تلك التي أيقنت بوجوده إلهاً واحداً لا شريك له في ذاته وصفاته، وأيقنت أنه النافع فلا نافع سواه، وأنه الضّار إذا شاء فلا ضار سواه، إليه مرجع الناس كلهم في يوم عظيم لا ريب فيه، يكشف فيه الحجاب عن كل غيب مستور وحقيقة خافية، يوم الحسرة والندامة لمن كان قد اغتر بدنياه وفرّط في جنب الله، ويوم الغبطة والسعادة إلى مرضاة الله.

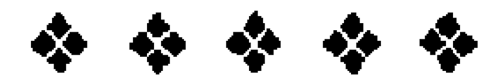
فلا جرم أني لا أعني بها تلك التي سمعت بالله ولم تفهم عنه شيئاً، وورثت كلمة الإيمان شعاراً على اللسان، ولم تستيقن مضمونها عقيدة في الجنان، قد يتكرر الله على لسانها في اليوم عشرين مرة، ولكنها لا تتنبه لسلطانه وبالغ سطوته في الشهر أو العام مرة واحدة.

إذا ذُكِّرتْ به أو فكِّرتْ فيه لم تعلم شيئاً سوى أنه ـ كما يقولون ـ حقيقة خفية كبرى، كالذي كانوا يسمّونه الأثير، لا يدرون عنه شيئاً سوى أنه سرٌّ خفيٌّ من أسرار هذا الوجود، فلو كان لإيمانها بالأثير من سلطان على سلوكها ولون حياتها، لكان لإيمانها بالله عليها مثل هذا السلطان.

---

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله. كتاب من تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي اقتبسنا منه بضع صفحات هي (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) و (٨٠، ٨١) صدر في دار الفارابي سورية ـ دمشق ـ طبعة جديدة ومنقحة ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٤م.
ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ولد عام ١٩٢٩م في قرية (جيلكا) قرب جزيرة ابن عمر الواقعة في شمال شرقي سورية، والداخلة في حدود تركيا حالياً، هاجر مع والده ملا رمضان إلى دمشق وعمره أربع سنوات أنهى دراسته الثانوية والتحقق بالأزهر عام ١٩٥٣م. حصل على الدكتوراه في أصول الشريعة عام ١٩٦٥، ثم عين مدرساً في كلية الشريعة بدمشق ثم وكيلاً ثم عميداً، ثم عين رئيساً لقسم العقائد والأديان، وقد اشترك في كثير من الندوات والمؤتمرات وله أكثر من أربعين مؤلفاً في علوم الشريعة، تُرجم بعضها إلى الإنكليزية والألمانية والفرنسية.

مثل هذا الإيمان، لا يسمى إيماناً إلا على سبيل المشاكلة والمجاز. ومثل هذا الإيمان لا يورث القلب أي خشية، ولا يقود صاحبه إلى أي اتجاه، ولا شأن له بتقويم شيء من مظاهر الحياة والسلوك. ومثل هذا الإيمان الرّخيص منثور بكثرة في مجتمعات أوربا وفي ربوع أمريكا، وتراه يسير جنباً إلى جنب مع كل ما تفور به تلك المجتمعات من الفساد الخلقي والتعقد النفسي، والاستغراق المطلق في سكرة الحياة المادية الجانحة!



فأنا إنما أتجه بحديثي في هذه الرسالة إلى كل فتاة آمنت بالله هذا الإيمان لأقول لها:

ـ إن أمرَ وجودنا في هذه الحياة جدٌّ وأخطر من الجدّ!...

فلا يحبّبَنك هوانها كثرة ما ترين من المتعلقين بها، ولا ينسينَّكِ هوانها كثرة ما ترين من المتعلقين بها، ولا تنسي أن الناس إنما يجتازون إلى الله في هذه الدنيا بساعة امتحان، سواء أعلموا ذلك أم جهلوا، وربما طالت هذه الساعة أم قصرتْ، ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان.

وإذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنساء على السواء، فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عبء آخر شديد الخطورة في الدنيا وعظيم الأثر في العقبى!...

فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجل في اجتياز هذه الساعة الامتحانية، تُعدُّ مادة من أهم موادّها الامتحانية ذاتها!..

ذلك لأن الشهوات على اختلافها هي المنزلق الامتحاني الذي بسط الله به وجه هذه الدنيا، وإنما المرأة ـ بتقرير الله تعالى وصريح بيانه ـ أول نوع من أنواع هذه الشهوات. أوليس هو القائل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

فقد عدَّ الله النساء في أول مراتب الشهوات التي وضعها زينة وابتلاء في طريق الناس. ولولا أنها تفوق سائرها في الخطورة والأهمية لما جعل مرتبتها في الذّكر قبلهن جميعاً.

إذاً فالمرأة في حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوي على الإطلاق. وسر ذلك، أن جميع الآثام التي حظرها الله على عباده، ليس بينها وبين الإنسان أي انسجام فطري، فالظلم بأنواعه المختلفة محرَّم، ويعين الإنسان على تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه.

وشرب الخمر محرّم،ويهون من أمر تحريمها أن الفطرة الإنسانية الأصيلة تعافها، وكذلك السرقة والغش والغيبة والنميمة وبقية المحرمات الأخرى، كلها لا يتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة، ولا يجنح إلى شيء منها إلا من ابتُلي بشذوذ أو انحراف في طبيعته وفطرته لسبب من الأسباب التي تطرأ في حياة الإنسان.

وإنما يستثنى من عموم هذه الآثام شيء واحد فقط، هو الغريزة الجنسية في كل من الرجل والمرأة، فهي على الرغم من كونها تدفع إلى ارتكاب محظور، يعدّ في ذروة المحاظير الشرعية ـ ما لم ينضبط بحدود وقيود معينة ـ تعتبر من أخص مستلزمات الفطرة الإنسانية وأهم متطلباتها، ولا سبيل لأي إنسان (ما دام إنساناً طبيعياً لا شذوذ فيه) أن ينفك عنها، أو يسمو فوقها.

ومن خلال هذه المقارنة تستطيعين أن تدركي بأن الشهوة الجنسية في الإنسان أخطر ابتلاء ديني في حياته، إذ في الوقت الذي تقف الفطرة الإنسانية غيه عوناً على تطبيق حكم الله بالنسبة لمختلف المعاصي والمنكرات، فإنها تقف باالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها، أو عاجزة ـ في أحسن الأحوال ـ عن أن تكبح لجامها أو تقلل شيئاً من هياجها.

وبناء على ذلك فإن العلاج الإسلامي بالنسبة لسائر المعاصي، يكمن في مزيد من الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها، أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة، فقد كان العلاج هو الارتواء منه، وإمتاع الغريزة به، ولكن ضمن حدود معينة لا يتجاوزها.

هذا معنى قولنا: إن المرأة أخطر مادة امتحانية في حياة الرجل على الإطلاق.

وربما تقولين: ولماذا لا يعتبر الرجل أيضاً أخطر مادة امتحانية في حياة المرأة، ما دام الشعور الجنسي شائعاً بينهما، وبذلك يتساوى عبء كل من الرجل والمرأة وتتكافأ مهامهما؟

والجواب: أن الفاطر الحكيم ـ جل جلاله ـ أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر من أن تكون طالبة، فهي مهما استشعرت إلحاحاً غريزياً في كيانها، تظل ميالة ـ بدافع من عوامل نفسية أصلية لديها ـ إلى أن تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء، وأن تفرض على الرجل ظروفاً وأسباباً تجعله يلح في طلبها والسعي وراءها، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة لها.

وقد قرر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة باختصار في قوله: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» [متفق عليه].

وإذا فرغنا من إيضاح هذه الحقيقة، فلتعلمي أن أمر هذه الفتنة التي ابتلي بها ـ تشديداً وتهويناً ـ عائد إليك.

فالمرأة تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاء صاعقاً للرجل، لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه، وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير في طريق السلامة والنجاة.

وكم من أمة كانت ذات شأن وسلطان بين سائر الأمم فتضاءل شأنها ثم تهاوى سلطانها، بما شاع بينها من الإباحية والتفسخ الأخلاقي، ولم يكن عامل ذلك كله إلا المرأة! وما قصة انمحاق الدول الرومانية والمزدكية والحضارة الهندية عن الناس ببعيد.

ومن هنا أخطر الوظائف الإسلامية التي كلف الله بها المرأة، أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى لا يقعوا في رهق من أمر هذا البلاء أو الامتحان.

وقد تم الإجماع على أن المرأة لا تحرز رضى الله عنها بعمل من الأعمال الصالحة، كما تحرزه بالسعي في سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخُلُقية وضبط نوازعه الشهوانية.

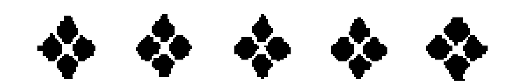
وما كان أكثر أهل النار النساء ـ بإخبار النبي ﷺ ـ في الحديث الصحيح إلا لجملة عوامل من أهمها أنهنَّ لا يتقين الله تعالى في هذه الوظيفة الخطيرة التي أناطها الله تعالى بهنَّ.



❖ يا أختي المؤمنة:

إن اتباع شريعة الله تعالى لا يضمن لك بلوغ مرضاة الله فحسب، بل هو يضمن لك إلى جانب ذلك تحقيق أسباب سعادتك الدنيوية كلها، والسعادة ليست في تحقيق الخيال الذي تتصورين، وإنما هو في الواقع الذي يورثك الطمأنينة، ويشيع في حياتك الارتياح والرضا. أما وقد تبين لكِ ذلك، فقد آن أن تنهضي لاستجابة حكم مولاك العظيم، وأن تصطلحي مع الله عز وجل بعد طول نسيان وتنكر له، فتتخذي من صراطه سبيلاً إليه، ومن حبه شفيعاً بين يديه.

دعي انتقاد الناس وحسابهم، فإن حساب الله غداً أشد وأعظم! ترفعي عن السعي إلى مرضاتهم وتحقيق أهوائهم، فإن التسامي إلى مرضاة الله أسعد لك وأسلم.



يا بُنَيَّتي... هذه نصيحتي

يا بُنَيَّتي، أنا رجل يمشي إلى الخمسين[1]، قد فارق الشباب وودع أحلامه وأوهامه، ثم إني سحت في البلدان ولقيت الناس وخبرت الدنيا. فاسمعي مني كلمة صحيحة من سنِّي وتجاربي، لم تسمعيها من غيري.

لقد كتبنا ونادينا ندعو إلى تقويم الأخلاق، ومحو الفساد، وقهر الشهوات حتى كلَّت منا الأقلام وملَّت الألسنة، وما صنعنا شيئاً ولا أزلنا منكراً، بل إن المنكرات لتزداد والفساد ينتشر والسفور والحسور والتكشف تقوى شِرَّته[2]، وتتسع دائرته، ويمتد من بلد إلى بلد، حتى لم يبق بلد إسلامي ـ فيما أحسب ـ في نجوة منه، حتى الشام التي كانت فيها الملاءة السابغة وفيها الغلو في حفظ الأعراض وستر العورات، قد خرج نساؤها سافرات حاسرات، كاشفات السواعد والنحور...

ما نجحنا وما أظن أننا سننجح.. أتدرين لماذا؟

لأننا لم نهتد إلى اليوم إلى باب الإصلاح، ولم نعرف طريقه. إن باب

---

(١) عندما كتب هذه الرسالة التي هي رد على فتاة تطلب منه أن ينصحها ويوجهها بعد أن لاقت ما لا قت، كان عمر الشيخ علي الطنطاوي آنذاك خمسين سنة أما الآن فقد رحل عن دنيانا.

ـ ولد الشيخ المربي علي الطنطاوي في سورية عام (١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م) وتوفي في الثالث من ربيع الأول (١٤٢٠هـ) الموافق للثامن عشر من حزيران عام (١٩٩٩م) ودفن في مكة.

ـ تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٣٣م بدمشق تدرج في الوظائف التعليمية والقضائية.

ـ ثم سافر إلى السعودية عام ١٩٦٣م ودرس في كلية الشريعة واللغة العربية، وتنقل في جامعات المملكة وألقى محاضرات إذاعية ونشر مقالات كثيرة وألف عشرات الكتب وكان محبوباً وله باع طويل في التربية والإرشاد.

(٢) الشِرَّةُ: الحدة والشدة.

الإصلاح أمامك أنت يا بنتي، ومفتاحه بيدك، فإذا آمنت بوجوده وعملت على دخوله، صلحت الحال صحيح أن الرجل الذي يخطو الخطوة الأولى في طريق الإثم، لا تخطوها المرأة أبداً، ولكن لولا رضاك ما أقدم، لولا لينك ما اشتد، أنت فتحت له وهو الذي دخل، قلتِ للص: تفضَّل... فلما سرقك اللص، صرخت: أغيثوني يا ناس، سُرقت... ولو عرفتِ أن الرجال جميعاً ذئاب وأنتِ النعجة؛ لفررت منهم فرار النعجة من الذئب، وأنهم جميعاً لصوص، لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص.

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها، فالذي يريده منك الرجل أعز عليك من اللحم على النعجة وشر عليك من الموت عليها، يريد منك أعز شيء عليك: عفافك الذي به تشرفين وبه تفخرين وبه تعيشين.

وحياة البنت التي فجعها الرجل بعفافها، أشد عليها بمئة مرة من الموت على النعجة التي فجعها الذئب بلحمها.. إي والله، وما رأى شاب فتاة إلا جردها بخياله من ثيابها ثم تصوَّرها بلا ثياب.

إي والله، أحلف لك مرة ثانية، ولا تصدِّقي ما يقوله بعض الرجال، من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها، وأنهم يكلمونها كلام الرفيق، ويودونها ودَّ الصديق، كَذِبٌ والله، ولو سمعت أحاديث الشباب في خلواتهم لسمعت مهولاً مرعباً، وما يبسم لك الشاب بسمة، ولا يلين لك كلمة ولا يقدم لك خدمة إلا وهي عنده تمهيد لما يريد، أوهي على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد.

وماذا بعد؟ يا بنت فكري؟

تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسى هو، وتظلين أنت أبداً تتجرعين غصصها، يمضي (خفيفاً) يفتش عن مغفَّلة أخرى يسرق منها عرضها.

وينوء بك أنت ثِقَلُ الحمل في بطنك، والهمّ في نفسك والوصمة على جبينك يغفر له هذا المجتمع الظالم، ويقول: شاب ضلَّ ثم تاب، وتبقين أنت في حمأة الخزي والعار طوال الحياة لا يغفر لك المجتمع أبداً.

ولو أنك إذا لقيته نصبت له صدرك، وزويت عنه بصرك، وأريته الحزم والإعراض... فإذا لم يصرفه عنك هذا الصدّ، وإذا بلغت به الوقاحة أن ينال منك بلسان أَوْ يَدٍ، نَزَعْتِ حذاءك من رجلك، ونزلت به على رأسه، لو أنك فعلت هذا، لرأيت مِنْ كلٍّ مَنْ يمرُّ في الطريق عوناً لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجر على ذات سوار، ولجاءك ـ إن كان صالحاً ـ تائباً مستغفراً، يسأل الصلة بالحلال، جاءك يطلب الزواج.

والبنت مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، لا تجد البنت أملها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج في أن تكون زوجاً صالحة وأمًّا موقَّرة وربَّة بيت.

سواء في ذلك الملكات والأميرات، وممثلات هوليود ذوات الشهرة والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء.

وأنا أعرف أديبتين كبيرتين في مصر والشام، أديبتين حقاً، جُمعَ لهما المال والمجد الأدبي، ولكنهما فقدتا الزوج، فقدتا العقل وصارتا مجنونتين، ولا تحرجيني بسؤالي عن الأسماء إنها معروفة!!

الزواج أقصى أماني المرأة ولو صارت عضوة البرلمان وصاحبة السلطان والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد، حتى الذي يُغوي البنت الشريفة بوعد الزواج، إن هي غوت وسقطت تركها وذهب ـ إذا أراد الزواج ـ فتزوج غيرها من الشريفات، لأنه لا يرضى أن تكون ربة بيته، وأم بنته، امرأة ساقطة!

والرجل وإن كان فاسقاً داعراً، إذا لم يجد في سوق اللذات بنتاً ترضى أن تريق كرامتها على قدميه، وأن تكون لعبة بين يديه، إذا لم يجد البنت الفاسقة أو البنت المغفَّلة التي تشاركه في الزواج على دين إبليس وشريعة القطط في شباط، طلب مَنْ تكون زوجته على سنة الإسلام.

فكساد سوق الزواج منكن يا بنات، لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوق الزواج ولا راجت سوق الفجور... فلماذا لا تعملن، لماذا لا تعمل شريفات النساء على محاربة هذا البلاء؟

أنتنَّ أولى به وأقدر عليه منّا، لأنكن أعرف بلسان المرأة وطرق إفهامها،

ولأنه لا يذهب ضحية هذا الفساد إلا أنتن: البنات العفيفات الشريفات البنات الصيِّنات الديِّنات.

في كل بيت من بيوت الشام بنات في سن الزواج لا يجدن زوجاً لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يُغني عن الحليلات[1]، ولعل مثل هذا في غير الشام أيضاً.

فألِّفْنَ جماعات منكن من الأديبات والمتعلمات ومدرسات المدرسة وطالبات الجامعة تعيد أخواتكن الضالات إلى الجادة، خوِّفْنهن الله: فإن كن لا يخفنه، فحذِّرنهنَّ المرض، فإن كن لا يحذرنه، فخاطبنهنَّ بلسان الواقع، قلن لهنَّ: إنكن صبايا جميلات فلذلك يقبل الشباب عليكن، ويحومون حولكن، ولكن هل يدوم عليكن الصبا والشباب؟ ومتى دام في الدنيا شيء حتى يدوم على الصَّبيَّة صباها وعلى الجميلة جمالها؟ فكيف بكنَّ إذا صرتن عجائز محنيات الظهور، مجعدات الوجوه؟! من يهتم يومئذ بكنّ؟ ومن يسأل عنكن؟ أتعرفين من يهتم بالعجوز ويكرمها ويوقرها؟ أولادها وبناتها، وحفدتها وحفيداتها.

هناك تكون العجوز ملكة في رعيتها، ومتوجة على عرشهاعلى حين تكون (الأخرى...).

ـ أنتن أعرف بما تكون عليه!

فهل تساوي هذه اللذة تلك الآلام؟ وهل تشترى بهذه البداية تلك النهاية؟ وأمثال هذا الكلام لا تحتجن إلى من يدلكن عليه، ولا تعدمْن وسيلة إلى هداية أخواتكن المسكينات الضالات، فإن لم تستطعن ذلك معهنَّ، فاعملن على وقاية السالمات من مرضهنَّ والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقهن.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وأنا لا أطلب منكن أن تعدن المرأة المسلمة اليوم بوثبة واحدة إلى مثل ما كانت عليه المرأة المسلمة حقاً، وإني لأعلم أن الطفْرة مستحيلة في العادة، ولكن أن ترجعن إلى الخير خطوة، كما أقبلتنَّ على الشر خطوة، إنكن قصرتنَّ الثياب

---

(١) خليلة: صديقة. ج خليلات، حليلة الرجل: زوجته. ج حلائل أو حليلات.

شعرة شعرة، ورققتن الحجاب، وصبرتن الدهر الأطول تعملن لهذا الانتقال، والرجل الفاضل لا يشعر به، والمجلات الداعرة تحث عليه، والفساق يفرحون به، حتى وصلنا إلى حال لا يرضى بها الإسلام، ولا ترضى بها النصرانية، ولم يعملها المجوس الذي نقرأ أخبارهم في التاريخ، إلى حال تأباها الحيوانات.

إن الدِّيكَيْن إذا اجتمعا على الدجاجة اقتتلا غَيْرة عليها وذوداً عنها، وعلى الشواطئ في الإسكندرية وبيروت رجال مسلمون، لا يغارون على نسائهم المسلمات أن يراهن الأجنبي، لا أن يرى وجوههن... ولا أكفهن.. بل كل شيء فيهن...!! كل شيء إلا الشيء الذي يقبح مرآه ويجل ستره، وهو حلقتا العورتين، وحلمتا الثديين، وقد بَلَغَنا أنهن كشفن عن هذا أخيراً، فبدا الصدر كله عارياً.

وفي النوادي والسهرات الراقية رجال مسلمون يقدمون نساءهم المسلمات للأجنبي ليراقصهن، يضمهن حتى يلامسَ الصدر الصدر، والبطن البطن، والفم الخدَّ، والذراع ملتوية على الجسد، ولا ينكر ذلك أحد، وفي الجامعات المسلمة شباب مسلمون يجالسون بنات مسلمات متكشفات باديات العورات، ولا ينكر ذلك الآباء ولا الأمهات المسلمات، وأمثال هذا!!

وأمثال هذا كثير لا يُدفع في يوم واحد، ولا بوثبة عاجلة، بل بأن نعود إلى الحق من الطريق الذي وصلنا منه إلى الباطل ولو وجدناه الآن طويلاً وإن من لا يسلك الطريق الطويل الذي لا يجد غيره لا يصل أبداً، وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط، والاختلاط غير السفور، أما كشف الوجه، إن كان لا يتحقق بكشفه الضرر على الفتاة والعدوان على عفافها فأمره سهل، ولعله أهون من هذا الذي نسميه في بلاد الشام حجاباً، وما هو إلا ستر للمعايب، وتجسيم للجمال، وإغراء للناظر.

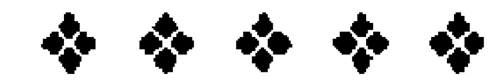
السفور إن اقتصر على الوجه كما خلق الله ليس حراماً متفقاً على حرمته وإن كنا نرى الستر أحسن وأولى، وكان ستره عند خوف الفتنة واجباً يا بناتي.

يا بناتي المؤمنات الدينات، يا بناتي الشريفات العفيفات، إنه لا يكون الضحية إلا أنتن، فلا تقدمن من نفوسكن ضحايا على مذبح إبليس...

أما أنا فإني أبو بنات، فأنا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتي، وأنا أريد لكن من الخير ما أريده لهنَّ.

إنه لا شيء مما يهرف به هؤلاء، يرد على البنت عرضها الذاهب، ولا يرجع لها شرفها المثلوم، ولا يعيد لها كرامتها الضائعة، وإذا سقطت البنت لم تجد واحداً منهم يأخذ بيدها أو يرفعها من سقطتها، إنما نجدهم جميعاً يتزاحمون على جمالها، ما بقي فيها من جمال، فإذا ولَّى ولَّوا عنها، كما تولِّي الكلاب عن الجيفة التي لم يبق فيها مزعة لحم!

هذه نصيحتي إليك يا بنتي، وهذا هو الحق فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدك أنت، لا بأيدينا معشر الرجال، بيدك مفتاح الإصلاح، فإذا شئت أصلحتِ نفسك، وأصلحتِ بصلاحك الأمة كلها والسلام عليكِ ورحمة الله[1].



(١) يا بنتي: رسالة طبعت أكثر من ست وأربعين طبعة ولا تزال تطبع ولقد لاقت إقبالاً من القارئات والقراء، وترجمت إلى الإنكليزية والأوردية وقد اخترت منها الصفحات السابقة من نسخة دار المنارة ـ جدة ـ السعودية الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م وهي من إحدى وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

رسالة حكيم حول تربية البنات

أرسل الحكيم (فنلون)[1] رسالة إلى سيدة فاضلة، تتضمن إرشادات ونصائح في تربية ابنتها قال فيها[2]:

بما أنك أيتها السيدة الفاضلة تأبين إلا أن تأخذي برأيي القاصر في تربية الآنسة كريمتك، فها أنا ذا أبدي رأيي كما ترغبين:

❖ تربية الأم والمدرسة:

لو كانت لك أيتها السيدة الفاضلة غير واحدة من الكريمات فلربما كان ذلك داعية التشويش عليك والارتباك لك في تربيتهن حيال الأعمال الجمة التي تشغلك كثيراً خارج دارك بما كنت لا تستحسنينه ولا ترضينه، ولرأيت معه أن لا مندوحة لك من اختبار بعض المدارس المعدة لتربية البنات تربية جيدة تزجينهن جميعاً فيها، وبما أنه لم يكن لك ـ أيتها السيدة ـ غير ابنة واحدة تربينها فأرى أنه قد يمكنك أن تربيها أحسن تربية قد لا تربيها إياها أحسن مدارس البنات وأفضلها.

إن عين الأم الكريمة الشفيقة المتدينة لتسهر ـ بلا ريب ـ على ابنتها، وتلحظ منها ما لا يمكن للغير رؤيته فيها، ولما كانت أمثال هذه الصفات التي تتصفين بها وتتحلين نادرة في الأمهات ندرة الكبريت الأحمر؛ لذلك كان من المناسب لجمهورهن أن يضعن بناتهن في المدارس المعدة لتربية البنات والعناية بهن، لأن

---

(١) فرانسوا فنلون: (١٦٥١ـ ١٧١٥)م حكيم فرنسي، اشتغل بالتربية ونشر كتابه المشهور «تربية البنات» عام ١٦٨٧م عينه الملك لويس ١٤ مربياً لأحفاده، فألف لهم عدة كتب مدرسية، انتخب عام ١٦٩٣م عضواً في الأكاديمية الفرنسية أهم مؤلفاته «مغامرات تليماك» عام ١٦٩٩م الذي صور فيه مثلاً أعلى لمملكة تسودها الحكمة والسلام.

(٢) تربية البنات ـ الحكيم فنلون ـ تعريب صالح أحمد حمادي ـ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م صفحة ١٢٠ـ ١٣٤.

أمثال تلك الأمهات تنقصهن بعض المعارف التي تلزم لتهذيب البنات وتثقيف عقولهن، أو إنهن ـ وإن كن مستوفيات تلك المعارف ـ فقد تنقصهن الاختبارات والوسائل لغرسها وتشريبها نفوس بناتهن بالقدوة العملية الحسنة والسلوك الجيد الذي بدونه تكون أعظم أصول التربية والتعليم بلا جدوى، وتذهب آثارها أدراج الرياح، لأن كل ما تقوم به الأم وتنصح به ابنتها، وتلقنها إياه يذهب سدى، إذا لم يكن لها من عملها وسلوكها الذاتي ما يؤيده في نفس تلك الابنة.

أما أنت أيتها السيدة الفاضلة فعلى غير تلك الحال، فإنك ورعة تخشين الله تعالى وتتبعين أوامره، ولا ترى الآنسة ابنتك إلا خير الأمثلة العملية لما تعلِّمينها إياه من المعارف والآداب، وعليه فإني مستثنيك من تلك القاعدة العامة لزمرة النساء ممن على هذه الشاكلة، وأفضل لك أن تبقى الآنسة ابنتك إلى جنبك وتقومين أنت بتربيتها وتهذيبها وهو خير لها وأفضل في الدخول في إحدى تلك المدارس، لأنه إذا لم تكن تلك المدرسة محكمة النظام جيدة التعليم والتهذيب، فإنها ترى فيها من الأتراب والصديقات أمور الإعجاب بالنفس والغرور بالشرف والحسب والنسب، أرى هذا من السموم الأسوأ تأثيراً في تلك النفوس الطرية الإهاب، ثم هي قد لا تسمع منهن عن مسرات العالم وملذاته، إلا كل ثناء وإطراء ولا شيء يؤثر أثره السيئ في النفوس الساذجة السليمة إلا برقشة هذا العصر وتحسين ناسه للأمور الكاذبة والنظر إليها من بعيد بعين الإعجاب والإغراق في مديح ملذات الدنيا ومسرات العالم دون التفات إلى الجانب الآخر من تبيين المساوئ، مساوئ ذلك كله وآلامه التي تصاحب مسراته الكاذبة، والعالم لا يبهر بمحاسنه ويضل بزخارفه إلا إذا نظر إليه من بعيد نظرة عاشق لم يدقق في قريب فهو باق على غروره غير عالم بما يحوي معشوقه من مفاسد جمة كثيرة.

وعليه فإني أخشى من أمثال هذه المدارس على الأوانس وأحذر الأمهات منها...

أما إذا كانت المدرسة المعدة للبنات ذات نظام محكم، فإن الفتاة قد تتربى فيها على نسيان العالم ومساوئ العصر وشروره... ومن الأفضل للبنت الاعتياد

على العالم تدريجياً وهي بجنب والدتها التقية النقية وتحت رقابة عينها اليقظة الساهرة، فهي لا تطلعها إلا على كل ما يناسب حالها وتربيتها بحسب المناسبات والفرص وما فيها وما في العالم من العيوب والمساوئ لتجنبها إياها وتعودها السير بالاعتدال والاحتشام في كل أمورها بالقدوة الحسنة والعلم الصحيح.

على أني أُجلُّ كثيراً الجيد من تلك المعاهد المعدة لتربية البنات، وأثني على طريقة تربيتها الحسنة للفتيات، لكني أفضل عليها كثيراً تربية الأم الكاملة لابنتها متى ما كانت مطلقة اليد معها ولا شيء يعوقها في القيام بنفسها بتربيتها، وعليه فإني أرى أن أفضل الطرق في تربية الآنسة ابنتك إبقاؤها إلى جنبك دون إرسالها إلى أفضل ما تفضلين من تلك المعاهد المعنية بتربية البنات وتعليمهن، وإنه لقليل أيتها السيدة الفاضلة عدد أمثالك من السيدات اللاتي يصح أن تُعطى لهن أمثال هذه النصائح في تربية كرائمهن.

❖ تأثير الصاحبات على البنات:

نعم، هذه الطريقة تقتضي متاعب جمة، وتحتاج إلى عناية كبيرة، واحتراس زائد من حيث يجب حسن الاختيار، وأخذ الحذر وخصوصاً في انتقاء النساء اللاتي يجب أن يكن بجانب ابنتك يعنين بها ويصحبنها، لأن اشتغالك بالأمور المنزلية وكثرة مزاولتك للأعمال الخيرية خارج دارك، كل هذا قد لا يسمح لك بالطبع بملازمتها ومراقبتها على الدوام، فقد تتركينها في البيت مع نساء ذوات أحلام طائشة وأخلاق غير مرضية ونفوس منحطة لا جرم أنهن يفسدن عليك عملك معها، ويهدمن في أسبوع ما قد تبنينه أنت في سنوات، هؤلاء النساء وقد أسيئت من الأصل تربيتهن لا يمنحن كريمتك وينفحنها إلا بما يماثل أخلاقهن، فهن كثيرات الكلام والثرثرة بلا احتشام أمام البنات، فتسرق نفوسهن المتيقظة كل شيء من مفاسد ذلك ورديئه، ويمكن أن يقتدين بهن ويعملن بمثل عملهن، وقد يحسِّنَّ لهن الكذب في المقال، وشر الأحوال والأعمال، فتعتاد من ثمَّ البنت الكذب والخداع والمكر وشرور الخصام واللجاج، ثم تتعلم منهن كذلك أمور

الحسد والحقد وشكاسة الطبع وشراسة الخلق، ثم تصنع التقوى والرياء في العبادة لما يجرين أمامها كل ذلك، ويظهرن أضرار إظهار تلك الأحوال أمام البنت، ثم إن هؤلاء النسوة لتعود نفوسهن الذل والصَّغار فكثيراً ما يظهرن لها بمظهر التملق والنفاق ليعجبن سيداتهن الصغيرات ويداهنهن، وهو من شر ما يجلب على نفوس الفتيات أمثال تلك الآفات المعدية، فإذا أنت تركت ابنتك إلى أمثال هذه النسوة، فإني أفضل لها دخول أردأ المعاهد الخاصة بتربية البنات ولا إبقاءها تحت رحمة أمثال هؤلاء النسوة.

ولكني أراك أيتها السيدة الفاضلة أعظم وأكمل من أن تتركي كريمتك تحت رحمة تلك الأحوال الشائعة...

ولا يفوتنك البتة السهر والمراقبة عليها إلا فيما ندر للضرورات في انقطاعك عن ملاحظة ابنتك بنفسك، ويجب أن تكون هذه القهرمانة[1] ذات عواطف رقيقة وإحساسات كريمة وفضائل جمة حتى تكون ملاحظتها ابنتك ومراقبتها إياها مقبولة لديها.

إني أعترف بأن أمثال هذه القهرمانة نادر وجودها ولكن مما لا سبيل إلى الاستغناء عنه البحث والتنقيب عنها حتى يُظفر بها ولتُغدق[2] عليها الأرزاق حتى يطيب لها المقام معك وإعانتك في كل الشؤون الهامة.

◆ الأمراض القلبية والاجتماعية:

وبما أن الآنسة كريمتك قد تظهر عليها علامات الذكاء ودلائل فرط النباهة مما يجعلها عظيمة الاستعداد سهلة القبول والتأثر، لهذا أراني أخشى عليها الميل إلى الغرور والإعجاب بالنفس والتطرف في التطلع الكاذب، والاندفاع إلى حد التهور، واسمحي لي أيتها السيدة الفاضلة أن أقول لابنتك: إن النساء هن عادة

(١) قهرمانة: مدبرة البيت.

(٢) تغدق: يجزل لها العطاء.

مغرمات بحب الظهور بالعقل وفرط الذكاء بمقدارما يغرمن ويهمن بالجسد وحب التبرج والزينة، ولكن النجيبات يملن إلى كثرة الدرس ويغرمن بالتفوق على أترابهن، ويكثر شغفهن بالكتب والمراجع أكثر مما يشتهرن بالتأنق رالزينة، وقد يكتمن قليلاً من حالهن بمظهر الحشمة والكفاءة معاً، وبعض المتعلمات يتمادين بالغرور تعالياً وتعاظماً واستكباراً في الأرض على بنات جنسها، فترى في نفسها أنها فوق الملاذ والمسرات التي تفرح بها النساء غيرها، وتعتقد في ذاتها أنها الكاملة القوية في كل شيء، فيصعب من ثمة معالجة داء نفسها الوبيل من العناد والكبرياء.

❖ ما يجب على ابنتك فعله:

يجب أن تعرف الآنسة كريمتك من أمور الدين ما يجب اعتقاده إثباتاً ونفياً، وما يجب به من الفروع دون أن تتعمق أو تتغلغل في مجالات العلماء ومناظراتهم في المسائل الخلافية، وينبغي أن تتجنب أحاديث النساء الوقحة التي فيها ما فيها من جرأة وشر مستطير.

ويجب أن تشعر بفظاعة وزر الإقدام على قراءة الكتب التي تدعو إلى المحرمات، ولتعلم أن تحتاط لنفسها بنفسها، وأن تحذر فخاخ ميل النفس إلى الشهوات.

ثم لتعبد الله تعالى بكل تواضع وخشوع، وأن ترى من ذاتها الضعف ومن نفسها القصور، وأن تحسن الطاعة، وتعترف وإني لأفضل للآنسة ابنتك أن تعرف أمور البيت، وتشغل نفسها بالخياطة والتطريز التي قد يفيدك في بيتك...

المرأة القوية تغزل وتحتجب في قعر دارها، وتحسن الصمت، وتعتقد بالله، وتطيع ولا تجادل قط، ولا تماري فيما ليس لها به علم. بُثي في ذهن كريمتك أفكاراً حسنة وآراء جميلة تُبغِّض إليها الوقاحة والجرأة اللتين قد تلازمان عادة بعض نفوس النساء اللاتي يرغبن الاشتهار بفرط الذكاء، وبذلك تباعدين بالآنسة كريمتك الفاضلة عن الوقوع في هذه الهاويات...

❖ الاعتدال والحشمة:

أما بخصوص الملابس والأزياء، فأرى أن يجدر بك أيتها السيدة الفاضلة أن تجتهدي لجعل الآنسة كريمتك ذات أذواق معتدلة فيها، فإن من النساء من قد يتطرفن في محبة التمادي في التبرج والزينة وكثرة الزخرف، وغيرهن يمقتن ذلك، ويملن كل الميل بلا حق إلى الطرف الأبعد من محبة البساطة في الملبس وكلا الطرفين مذموم منتقص.

وحسن الذوق يقتضي بالاعتدال بمعنى أن لا تخالف كريمتك أذواق العصر جملة، ولا أن تكون في مقدمة من لهن في كل يوم لباس جديد وزي مزخرف طريف تأخذ بهارجه بالأبصار، فالتزام حد الوسط من أكرم الخلال وأجمل الشيم.

ـ قولي للآنسة كريمتك هذه النصيحة: ابنتي كوني معتدلة في طلب الأمتعة الدنيوية حتى لا ينتقدك الناس كإنسانة فاقدة للذوق في رثاثة الملابس وإهمال النظافة، كما لا تظهرين ألبتة بمظهر المترفين المبذرين، فإنك إذا اتبعت نصيحتي هذه اكتسبت المحمدة والثناء وظهرت بمظهر العقل والحصانة وسلامة الذوق في اختيار أدوات بيتك وملابسك وحلاك، وكنت سيدة بالمعنى الحقيقي للكلمة لا أسيرة هوى تلك الغوايات والضلالات.

ولتعلم فتاتك أن الترف والسرف هما داعيتا فساد كل الأمور الحيوية، وأنه مهما يكن للمرأة من غنى وثروة فإنها متى تمادت في الترف والتبذير ذهبت بكل مالها وأهلكت الحرث والنسل.

واعلمي أنه مما هو جوهري في أمور الزينة والتبرج، أن لا يترك لها الحبل على الغارب، فتركب متن الشطط، وتكون بذلك قد خالفت روح الدين وآدابه الصحيحة.

الفتي نظر الآنسة كريمتك ـ في الوقت نفسه ـ إلى النظر بعين الشفقة والاعتبار إلى أحوال الفقراء والمساكين، واجعليها تشعر وتحس بأنه خليق بالإنسانية أن لا يكون بعض بنيها منعمين لا يقفون في الترف والإسراف عند حد،

وبعضهم يطوي على الطوى، ثم يضن أولئك على هؤلاء باليسير ليسد منهم الرمق ويكسو العري لقسوة القلوب والتقاطع في الأرحام الإنسانية.

❖ محبة الله والفضيلة:

ومن الأمور الهامة المطلوبة في هذا الباب أيتها السيدة، إشراب قلب الآنسة كريمتك محبة الدين والفضيلة.

ـ حببي قلبها في الله سبحانه وتعالى ولا تخيفيها بأنه منتقم جبار من العصاة والبغاة ما لم تبيني لها أنه سبحانه وتعالى واسع الرحمة كبير المغفرة عطوف شفوق على عباده الضعفاء حتى يمتزج حبه بقلبها ولبها وترتاح لذكره ـ عز وجل ـ في نفسها، ولا تجعليها تنظر إلى الصلاة والدعاء ونحوهما من أمور الدين نظر الضجر المتكلف الذي يقوم بها كصيغ ورواتب أقوال وأفعال يجريها بالكسل بل اجعليها تؤدي عبادة ربها بنشاط وعزيمة بإحضار القلب وإشعار النفس الارتياح واللذة والخشوع.

ـ بيِّني لها أن المقام مقام الوقوف بين يدي الله عز وجل وفي حضرته مقام جليل، مقام فوق كل مقام، فلا ينبغي أن يُذهل فيه، ولا يُلتفت إلى غيره من الشواغل.

ـ يجب علينا أن نقدِّر تلك الذات العلية، وندعوها بالضراعة والخشوع في كل آن سراً وعلانية بكل بساطة وبلا تكلف، ومن يغفر الذنوب إلا الله تعالى.

ـ وينبغي لنا أن نصغي لأقواله ونستمع لما نزل من باهر كلامه، ونفتح قلوبنا لما يلهمنا إياه ويوفقنا إليه من الهداية والخشية والنور.

ـ يجب أن لا تعمل ابنتك عملاً إلا بما يرضي الله تعالى، وأن تعمل بسرور وشوق ابتغاء مرضاته تعالى، وأن تستحضر شهوده في كل الأعمال والأحوال ولا تذهل فيها عن مقام الخشية والأدب.

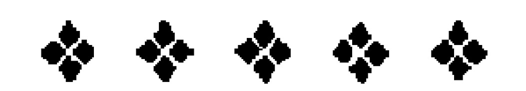
ـ وينبغي أن تعلم كريمتك الفاضلة أن أفضل صيغ الأدعية والتضرعات والابتهالات الراتبة في الصلوات ونحوها، ولا سيما إذا صدرت من أعماق القلوب،

وأشرقت على المرء من طريق الإخلاص والمحبة، فعوِّديها هذا الحب لله تعالى والميل بالقلب إليه، وأن تناجيه بالوجدان وصفاء السريرة وحسن الثقة وعظيم الاعتماد بكل إخلاص ويقين وبلا تكلف، لأنها إنما تناجي محباً ومحبوباً مثواه القلوب وشهود حبه ومحبته قائمة دلائلها في الوجدان، وهذا هو الإيمان الكامل لا كحال أولئك الذين يكتفون سطحياً بالصيغ والرسوم التعبدية المحفوظة والقلوب مع ذلك ساهية لاهية والأفئدة خالية.

إن حال المخلصين لله تعالى المحبين بالقلب له المحبوبين منه ـ تعالى ـ فإنهم يستلذون بعبادته، ويشهدون نفحاته في كل شأن لهم، ويناجونه بلا تكلف ولا كسل، ويعرفون نعمته العظيمة عليهم ويضرعون إليه في السر والعلن في كل أعمالهم طلباً لمعونته وإمداداته المتواصلة، ويعترفون إليه بأوزارهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ويستمدون المعونة منه في القيام بواجباتهم كلها، ويضرعون إليه ليكشف نزعات نفوسهم وغمائمهم ومساوئ الضر عنهم. وبالجملة، فإن أمثال هؤلاء يفضون إلى الله في كل أحوالهم، ويهتدون بهديه المنزل ويسمعون لآياته الذهبية بالقلب قبل الجوارح، ولا غرو فإنهم يثقون بمن هو أهل الثقة، بمن هو السند الأعلى والملاذ الأقوى، يناجون بالقلوب قبل الجوارح كريماً لا يبخل بالمعونة على من استعان به ولاذ بجنابه، ومحباً محبوباً هو أهل لكل ثناء وحمد.

إذا بلغ الإنسان هذه المرتبة في دينه مع الله تعالى، فإن حب الله يسكن قلبه، ويهديه الله صراطه السوي ومحجته البيضاء، ويكون بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به، وسواء كان المرء رجلاً أو امرأة، عظيماً أو حقيراً، ملكاً أو صعلوكاً، فيسكن من ثم القلب، ويطمئن اللب، وتخشع النفس، وتخضع لله تعالى، وتضع الثقة في كل الأمور موضعها الخليق بها مع التبرؤ إليه من الحول والقوة إلا به، وعدم الذهول في حضرته وملازمة التقوى والخشية والورع والتوبة من الذنوب والتنصل من الخطايا والعيوب، والوقوف بالعزم الثابت في وجه مثارات الشهوات والغوايات ونزعات الشبهات والضلالات، ثم أمور الأثرة وأشياء حب الذات.

فإذا أنت وصلتِ أيتها السيدة الفاضلة بالآنسة كريمتك إلى هذه المرتبة العظيمة وتلك الدرجة العالية، وبلغت بها الاستمداد من هذا الينبوع الإلهي الصافي والاستقاء من مورده الديني العذب ومنهله الزلال والاغتراف من بحره الوافي، نالت كريمتك بلا ريب من التقوى أعلى مراتبها، ومن الدين أشرف خلاله، فرقت مراقي الفلاح ونجحت أيَّما نجاح.



احذري...![1]

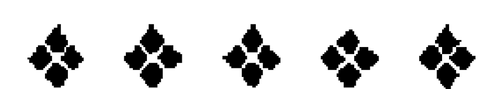
«احذري أيتها الشرقية وبالغي في الحذر، واجعلي أخص طباعك الحذر وحده. احذري تمدن أوربا أن يجعل فضيلتك ثوباً يُوسَّع ويُضيق؛ فليس الفضيلة على ذلك هو لُبْسُها وخَلْعها...

احذري فَنَّهم الاجتماعي الخبيث الذي يفرض على النساء في مجالس الرجال أن تُؤدِّي أجسامُهنَّ ضريبة الفن...

احذري تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة؛ إنها انتهاء المرأة بغاية الظَّرف والرقة إلى... إلى الفضيحة.

احذري تلك النسائية الغزليَّة؛ إنها في جملتها ترخيصٌ اجتماعي للحرة أن ... أن تشارك البغيَّ في نصف عملها[2].

أيتها الشرقية، احذري احذري!



---

(١) من وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠٣م القاهرة ح١ ص ـ٢٣٢.

ـ مصطفى صادق الرافعي / ١٢٩٨ـ ١٣٥٦هـ / ١٨٨٠ـ ١٩٣٧م/ أديب مصري له مؤلفات عديدة أهمها «إعجاز القرآن» «تاريخ آداب العرب» «من وحي القلم».

(٢) البغيُّ: ج بغايا: فاجرة تتكسب بفجورها.

احذري التمدن الذي اخترع لقتل لقب الزوجة المقدس، لقب «المرأة الثانية»... واخترع لقتل لقب العذراء المقدَّس، لقب «نصف عذراء»...

واخترع لقتل دينيَّة معاني المرأة كلمة «الأدب المكشوف»...

وانتهى إلى اختراع السُّرعة في الحب... فاكتفى الرجل بزوجة ساعة...

وإلى اختراع استقلال المرأة فجاء بالذي اسمه (الأبُ) من الشارع، لِتُلقي بالذي اسمه (الابنُ) إلى الشارع...

أيتها الشرقية، احذري احذري!



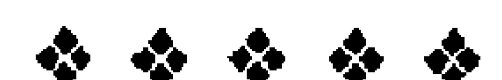
احذري وأنتِ النجم الذي أضاء منذ النبوة، أن تقلِّدي هذه الشمعة التي أضاءت منذ قليل.

إن المرأة الشرقية هي استمرار متصل لآداب دينها الإنساني العظيم. هي دائماً شديدة الحفاظ حارسة لحَوْزتها، فإن قانون حياتها دائماً هو قانون الأمومة المقدَّس.

هي الطهر والعفة، هي الوفاء والأنفة، هي الصبر والعزيمة، هي كل فضائل الأم.

فما هو طريقها الجديد في الحياة الفاضلة إلا طريقها القديم بعينه.

أيتها الشرقية، احذري، احذري!



احذري ـ ويحك! ـ تقليد الأوربية التي تعيش في دنيا أعصابها محكومة بقانون أحلامها...

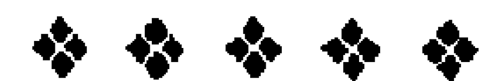
لم تعد أنوثتها حالة طبيعيةً نفسيةً فقط، بل حالةً عقلية أيضاً تشك وتجادلُ...

أنوثة تفلسفت فرأت الزواج نصف الكلمة فقط... والأم نصف المرأة فقط...

وياويل المرأة حين تنفجر أنوثتها بالمبالغة، فتنفجر بالدواهي على الفضيلة...!

إنها بذلك حرة مساوية للرجل، ولكنها ليست الأنثى المحدودة بفضيلتها...

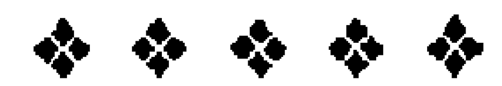
أيتها الشرقية، احذري احذري



احذري خجل الأوربية المترجلة من الإقرار بأنوثتها.

إن خجل الأنثى يجعل فضيلتها تخجل منها... إنه يسقط حياءها ويكسو معانيها رجولةً غير طبيعية، إن هذه الأنثى المترجلة تنظر إلى الرجل نظرة رجل إلى أنثى...[1].

والمرأة تعلو بالزواج درجة إنسانية، ولكن هذه المكذوبة تنحطُّ درجة إنسانية بالزواج. أيتها الشرقية، احذري احذري!



احذري تهوُّس الأوربية في طلب المساواة بالرجل.

لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق، ولكن الحلاق لم يجد في وجهها اللحية...

إنها خُلقت لتحبيب الدنيا إلى الرجل، فكانت بمساواتها مادة تبغيض.

العجيب أن سر الحياة يأبى أبداً أن تتساوى المرأة بالرجل إلا إذا خسرته.

والأعجب أنها حين تخضع، يرفعها هذا السر ذاته عن المساواة بالرجل إلى السيادة عليه...

أيتها الشرقية احذري احذري!



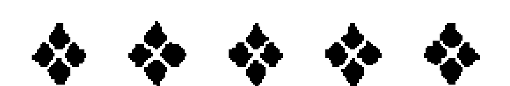
احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق.

أم عليها طابع النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوَّ نفسها العالية.

فلو صارت الحياة غيماً ورعداً وبرقاً، لكانت هي فيها الشمس الطالعة.

ولو صارت الحياة قيظاً وحَرُوراً واختناقاً، لكانت هي فيها النسيم يتخطَّر.

أيتها الشرقية، احذري احذري!



---

(١) الأنثى المترجلة: تتشبه بالرجال.

احذري هؤلاء الشبان المتمدنين بأكثر من التمدن...

يبالغ الخبيث في زينته، وما يدري أن زينته مُعْلِنَةٌ أنه إنسان من الظاهر...

ويبالغ في عرض رجولته على الفتيات، يحاول إيقاظ المرأة الراقدة في العذراء المسكينة!

ليس لامرأة فاضلة إلا رَجُلُها الواحد؛ فالرجال جميعاً مصائبها إلا واحداً.

وإذا هي خالطت الرجال، فالطبيعي أنها تخالط شهوات، ويجب أن تحذر وتُبالغ. أيتها الشرقية، احذري احذري!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

احذري؛ فإن في كل امرأة طبائع شريفة متهوّرة، وفي الرجال طبائع خسيسة متهورة.

فيك طبائع الحب، والحنان، والإيثار، والإخلاص، كلما كبرتِ كبرتْ.

طبائع خطرة، إن عملت في غير موضعها، جاءت بعكس ما تعمله في موضعها.

فيها كلُّ الشرف ما لم تنخدعْ، فإذا انخدعت فليس فيها إلا كلُّ العار.

أيتها الشرقية، احذري احذري!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

احذري كلمة شيطانية تسمعينها: هي فنية الجمال أو فنية الأنوثة.

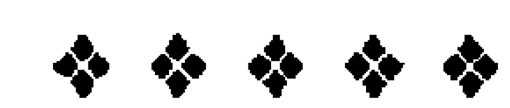
وافهميها أنت هكذا. واجبات الأنوثة وواجبات الجمال.

بكلمة يكون الإحساس فاسداً، وبكلمة يكون شريفاً.

ولا يتسقَّط الرجل امرأة إلا في كلمات مُزَيَّنَة مثلِها.

يجب أن تتسلَّح المرأة مع نظرتها، بنظرةِ غضَب ونظرة احتقار.

أيتها الشرقية، احذري احذري!



احذري أن تُخدعي عن نفسك، إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة. إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك، هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق...

يَخْتِرُّونَكِ بكلمات الحب والزواج والمال، كما يقال للصاعد إلى الشنَّاقة ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟

الحب؟ الزواج؟ المال؟ هذه صلاة الثعلب حين يتظاهر بالتقوى أمام الدجاجة...

الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة؟ بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب... أيتها الشرقية، احذري احذري.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

احذري السقوط؛ إن سقوط المرأة لِهَوْلِه وشدته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من توجدهم!

نوائب الأسرة كلها قد يسترها البيت، إلا عار المرأة.

فَيَدُ العار تقلب الحيطان كما تقلب اليد الثوب، فتجعل ما لا يُرى هو ما يُرى.

والعار حكم ينفذه المجتمع كله، فهو نفيٌ من الاحترام الإنساني.

أيتها الشرقية، احذري احذري!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

لو كان العار في بئر عميقة، لقلبها الشيطان مئذنة، ووقف يؤذن عليها.

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة، كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته...

واللص، والقاتل، والسكير، والفاسق، كلٌّ هؤلاء على ظاهر الإنسانية كالحر والبرد.

أما المرأة حين تسقط، فهذه من تحت الإنسانية هي الزلزلة.

ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض، إلا عار المرأة حين يشق الأسرة... أيتها الشرقية، احذري احذري!



الفصل السادس

قصص البنات الذكيات... التقيّات

❖١. البنات في القرآن. ❖٢. ذكاء ابنة ابن هرمة.

❖٣. استغفار فتاة. ❖٤. دعوةٌ، فهو ليس برازق.

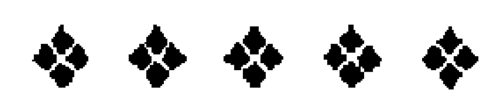
❖٥. السقيا يوم القيامة ❖٦. بنت نبي هذه الأمة.

❖٧. ابن المبارك والبنت الفقيرة.

❖٨. فتاة تخشى الله...

❖٩. مالك بن دينار وابنته الصغيرة.

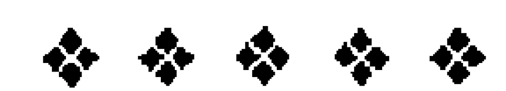
❖١٠. الفتاة وهارون الرشيد. ❖١١. ذكاء فتاة.



البنات في القرآن

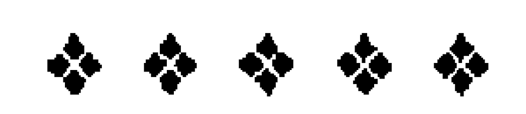
اهتم القرآن الكريم بالأسرة وأفرادها، فذكر الأب والأم والأبناء والبنات والأصول والفروع.

وسنتدبر الآيات التي تحدثت عن بنات النبي محمد ﷺ، وعن بنتي شعيب، وعن مريم ابنة عمران، ونتعرف على كل واحدة منهن، لأن التعرف على الأنبياء وبناتهم واجب على كل مسلم، لأن سيرتهم وقصصهم فيهما العبرة والعظة.



بنات النبي محمد ﷺ

لقد ذكر القرآن بنات النبي ﷺ في أكثر من موضع، ولم يسمهن قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].



وبنات النبي ﷺ هنَّ:

زينب ـ ورقية ـ وأم كلثوم ـ وفاطمة

رضي الله عنهن

❖ ١. زينب رضي الله عنها:

هي زينب ابنة المصطفى المختار محمد خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم جميعاً، وهي أولى أولاده، أمها خديجة بنت خويلد سيدة نساء عصرها،

ولدت زينب بمكة المكرمة قبل البعثة وفي السنة /٢٢/ قبل الهجرة، وكان عمر النبي ـ والدها ـ يومئذ ثلاثين عاماً.

نشأت في بيت النبوة بين أكرم أبوين، فلما نشأت وترعرعت خطبها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، وكان أحد رجالات مكة المعدودين، أسلمت واتبعت أباها ﷺ فيما نزل عليه، ولكن زوجها لم يسلم، وبقيت زينب في كنف زوجها المشرك أبي العاص، لأن الإسلام لم يأمر ـ حينئذٍ ـ بتفريق الزوجة المسلمة عن زوجها المشرك، ولكن ذلك حدث بعد الهجرة بسنوات، وبقيت زينب مع زوجها في مكة بعد هجرة أبيها وأصحابه إلى يثرب...

ولما كانت غزوة بدر خرج أبو العاص ـ زوج زينب في جيش المشركين مرغماً، فلما انتهت المعركة كان في صفوف الأسرى، فأرسلت قريش فداء أسراها، وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ ـ فيمن أرسل في ذلك، فبعثت بقلادة لها كانت قد ورثتها عن أمها السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ فلما رأى الرسول ﷺ القلادة عرف أنها قلادة ابنته «زينب» دفعتها لتفتدي بها زوجها الأسير، فَرَقَّ لها قلبه وقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله، وأطلق سراح أبي العاص وعاد إلى مكة وقد أخذ الرسول عليه عهداً أن يبعث بزينب إلى المدينة، فوفى أبو العاص بعهده، وهاجرت زينب إلى المدينة مع زيد بن حارثة ورجل من الأنصار ـ أرسلهما النبي ﷺ ليصحباها معهما في الطريق.

كان أبو العاص تاجراً يمر بطريقه إلى بلاد الشام قرب المدينة المنورة، وفي إحدى رحلاته أسره المؤمنون وكان ذلك في أواخر السنة السادسة للهجرة، فلما وصل المدينة هرب ودخل بيت زوجته زينب بنت النبي ﷺ فأجارته زينب، ثم أسلم في محرم من السنة السابعة للهجرة وعادت زينب إلى زوجها، فمكثت عنده سنة ثم توفاها الله سبحانه وتعالى في أوائل السنة الثامنة للهجرة، وتولت غسلها أم أيمن الحبشية، وسودة بنت زمعة وأم سلمة زوجتا النبي ﷺ ودفنها النبي في البقيع بيديه الطاهرتين!!

تركت زينب وراءها زوجها وولداً ذكراً صغيراً اسمه علي، وبنتاً هي أميمة بنت أبي العاص، وكان الرسول ﷺ يعتني بها ويرعاها...

ولما كبرت تزوجها الإمام علي رضي الله عنه بعد وفاة السيدة فاطمة ـ رضي الله عنهاـ .

أما الغلام فتوفي وهو صغير، ولم يبق من سلالة زينب إلا ابنتها أميمة رضي الله عنهما جميعاً.

❖ ٢. رقية . رضي الله عنها:

هي ابنة سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وأمها سيدة نساء عصرها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين أول امرأة أسلمت بمحمد ﷺ وأختها زينب...

ولدت رقية رضي الله عنها قبل الهجرة بعشرين سنة وتزوجها عتبة بن أبي لهب (عبد العزى) عم النبي قبل النبوة، فلما بعث النبي ﷺ وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله في أبي لهب: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال أبو لهب لابنه عتبة: (رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق رقية بنت محمد... فاستمع الولد لأبيه وفارق «رقية».

أسلمت رقية حين أسلمت أمها، وبايعت النبي ﷺ ثم تزوجها عثمان بن عفان بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين، كما هاجرت بعدها إلى يثرب حين هاجر إليها النبي ﷺ وفي بلاد الحبشة رزقها الله سبحانه وتعالى ولداً سمته (عبد الله بن عثمان) فكان هذا الولد هدية من الله إلى أمه رقية وأبيه عثمان...

وملأ حياتهما أنساً وبهجة وأبوّة، وغمر دارهما حيث نزلا بالحب والحنان لاسيما حين أقاما في المدينة إذ يدخل عليهما النبي ﷺ فيحتضنه ويشبعه من حبه وحنانه ويضمه إلى صدره في لهفة وشوق...

لكن هذه الفرحة لم تدم طويلاً، فقد مات ابنهما على إثر نقرة ديك أفقدته حياته، فحزنت رقية، وترنحت منهارة تحت وطأة الثكل المرير صريعة الحمى...

وقعدت طريحة الفراش... فوقف زوجها عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى جانبها يمرضها ويشرف على رعايتها، لكنه سمع داعي الجهاد يستنفر المؤمنين من المهاجرين والأنصار لملاقاة المشركين في مشارف بدر، فودَّ عثمان لو يلبي النداء نداء الجهاد... لكن قلبه لم يطاوعه على فراق زوجته المريضة وهي في النزع الأخير، وتخلّف عثمان عن غزوة بدر مكرهاً، وراح يشهد معركة احتضار زوجته الحبيبة ومصاولتها للموت إلى أن توفيت وأبوها النبي ﷺ كان عائداً من بدر منتصراً، وأصوات المسلمين تتعالى في الآفاق مهللة الله أكبر... الله أكبر نصر عبده وأعز جنده.. ودخل النبي المدينة ليتلقى نبأ وفاة ابنته رقية أم عبد الله، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة، وكانت نساء المدينة تبكي بكاء متواصلاً على رقية فجاء عمر بن الخطاب يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده وقال له: دعهن يا عمر يبكين، ثم قال النبي للنسوة: ابكين ولكن إياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من القلب والعين، فمن الله ورحمته... ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان، وقعدت السيدة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ على شفير قبر أختها وإلى جانبها الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وراحت تبكي أختها...

جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمسح دموعها بطرف ثوبه...

قال أنس بن مالك: «شهدنا دفن بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرسول جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان».

❖ ٣. أم كلثوم رضي الله عنها:

هي ثالث بنات النبي ﷺ أمها خديجة بنت خويلد، تزوجها في الجاهلية عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، كما تزوج أختها رقية أخوه عتبة، فلما بُعث الرسول ﷺ وصدع بالدعوة، وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله في أبي لهب والد زوجها وهو قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فلما سمع أبو لهب استاء، قال: لولديه عتبة وعتيبة: «رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد..» فطلقها عتيبة كما طلق أخوه رقية.

ولحقت أم كلثوم بأبيها النبي محمد ﷺ ولم تزل حتى هاجرت إلى المدينة مع من هاجر من عيال الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تزوجها عثمان بن عفان بعد موت أختها رقية، وكان ذلك في الأول من السنة الثالثة للهجرة، ومن يومها لقب عثمان بن عفان رضي الله بذي النورين.

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان حتى وافتها المنية في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة، ولم تلد لعثمان ولداً...

فحزن الرسول الكريم ﷺ عليها حزناً شديداً وقال:

لو أن لنا ثالثة لزوجنا عثمان بها. رضي الله عنها وأسكنها فسيح جناته.

❖ ٤. فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

نشأت السيدة فاطمة رضي الله عنها في كنف أبيها المصطفى ﷺ ورعاية أمها السيدة خديجة التي توفيت عنها في الخامسة عشرة من عمرها بعد أن شهدت صنوف المحن التي تعرضت لها الدعوة الإسلامية بمكة، وكان لفاطمة رضي الله عنها في رعاية والدها دور كبير بعد وفاة أمها والتخفيف عنه!

خطبها علي بن أبي طالب، وهو ابن عم أبيها في شهر رجب بعد أشهر من الهجرة وأصدقها ما ثمنه ثلاثمئة درهم، ثم تزوجها في شهر صفر عقب غزوة بدر وهي في السادسة عشرة من عمرها، وكان عمر علي رضي الله عنه إحدى وعشرين سنة، فولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب عاشت السيدة فاطمة على علوقدرها وشرف نسبها عيشة ضنك وضيق، فقد جرَّت بالرحى حتى أثر هذا في يدها واستقت بالقرب حتى أثر في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، وكانت بعد أمها أقرب الناس إلى المصطفى،تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي) أخرجه الحاكم والترمذي، وقالت عائشة أيضاً (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها

فقبلته وأجلسته مجلسها) وتقول أيضاً: (كنت جالسة عند رسول الله ﷺ فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال لها النبي: (مرحباً يا بنتي) فأجلسها عن يمينه وأسر إليها شيئاً فبكت، ثم أسر إليها ـ فضحكت ـ فسألتها عائشة ـ بعد وفاة النبي ﷺ أي شيء أسر إليك الرسول، فقالت فاطمة رضي الله عنها: أخبرني أنه يموت ثم قال لي: (أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي).

فبكيت لذلك فقال لي: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين... فضحكت).

ولما ثقل النبي ﷺ وجعل الموت يتغشاه قالت فاطمة: واكرب أباه. فقال لها النبي ﷺ ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما توفي النبي ﷺ قالت فاطمة: أجاب رباً دعاه في جنة الفردوس مأواه... ولما دفن عليه الصلاة والسلام أقبلت فاطمة رضي الله عنها على أنس بن مالك وقالت له: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب... ثم بكت، ووقفت على قبر النبي ﷺ وأخذت قبضة من ترابه فوضعتها على عينيها، وبكت بكاء أبكى من حولها.

توفيت رضي الله عنها بعد انتقال رسول الله بستة أشهر قبل الثالث من رمضان من السنة الحادية عشرة للهجرة، ودفنت في البقيع، وقد روت عن والدها /١٨/ حديثاً رضي الله عنها[١].



---

(١) انظر: نساء أشار إليهن القرآن ولم يسمهن. مختار فوزي النعال، دار رضوان /٢٠٠٠/م، ص ١٦٥ـ ١٧٦.

ابنتا شعيب عليه السلام

لم يرد اسمهما في القرآن صراحة، وإنما أشير إليهما بأنهما امرأتان تذودان أغنامهما عن الماء، فرآهما موسى عليه السلام في ضاحية «مدين» بعد خروجه من مصر حين قصد البئر فوجدهما، تبتعدان بأغنامهما عن الزحام، فدنا موسى منهما وسألهما لم لا تسقيان غنمكما؟ فقالتا له:﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤]. فهاتان المرأتان هما - عند أغلب المفسرين، وكتاب السير وقصص الأنبياء - ابنتا شعيب عليه السلام - الأولى تدعى «صفورة» والثانية تدعى «ليا» فلما سقى لهما موسى أغنامهما انصرفتا شاكرتين له صنيعه، فأوى إلى ظل شجرة وهو ينتظر فرج الله، وبينما هو كذلك إذ أقبلت إحداهما وهي «صفورة» تمشي على استحياء وقالت له في وقار وحياء: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] وظلت تلح عليه بمرافقتها حتى استجاب إلى دعوة أبيها، فذهب معها، وهناك قالت الفتاة لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وتفاوض الرجلان (نبي الله شعيب، ونبي الله موسى) عليهما السلام حين قال شعيب لموسى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] فرضي موسى ما رآه شعيب وقال له: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

وتزوج موسى عليه السلام «صفورة» وغدت من أهله، وقد أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ

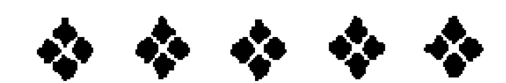
﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

ومثلها جاء في سورة النمل بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧]، ومثلها جاء في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠].

إن لفظ أهله في جميع هذه الآيات هي إشارة إلى زوجته «صفورة» بنت شعيب عليه السلام.

وعندما انتهى عمله عند شعيب، خرج موسى بأهله، فولد له في الطريق - في ليلة شاتية - فقدح زناده فلم يور الزناد فبينما هو في محاولة ذلك، أبصر ناراً عن بعد، فقال لأهله: ابقَيْ مكانك لا تبرحي، إني وجدت ناراً ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾، وقد قيل إن موسى ضل طريقه، فعلم أن النار لا تخلو من موقدها، فلما قرب من النار وجدها في شجرة عليق وإنها مشتعلة لا تطفأ... والعليقة لا تشعل، ولم يجد أحداً من الناس حولها ليسأله عن الطريق، حينئذ سمع صوتاً من وسط النار يناديه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ورجع موسى إلى أهله بعد أن بلّغ بالنبوة وكلف بالرسالة، فسار بأهله إلى مصر، فتضيَّف على أمه (أي نزل على أمه ضيفاً) والتقى بأخيه هارون...[1].



(١) انظر: نساء أشار إليهن القرآن ولم يسمهن، مختار فوزي النعال، دار الرضوان عام ٢٠٠٠/م ص ٥١- ٥٢- ٥٣.

مريم ابنة عمران

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران ٢٣ـ ٢٥].

من هؤلاء المصطفين الأخيار امرأة عمران التي عاهدت ربها إن رزقها الولد أن تجعله واحداً مع ركب الصالحين الهداة الأبرار ووهبت ما في بطنها إلى ربها، لكي يكون خادماً في بيت المقدس متفرغاً للعبادة والعلم والتعليم والدعوة، وطلبت من الله أن يتقبل منها هذا النذر.

ولما جاءها المخاض، ووضعت حملها، فكانت مفاجأة عظيمة إذ ولدت أنثى، والأنثى لا تصلح لخدمة البيت المقدس مع الرجال، ولا تصلح لقيادة الدعوة إلى الله، فانطلق لسانها معبراً عن كيانها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] واعتذرت لربها على أن مولودها ـ أنثى ـ خلاف ما كانت تقصد، وأضعف من الذكر في تحقيق ما ترجو.

واختارت لابنتها اسماً معبراً عن حالها التي تريدها لها، فقالت: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومعنى مريم في لغتهم ـ كما جاء ـ العابدة، وهي تتمنى أن تكون وليدتها عابدة خاشعة لرب العالمين.

وسألت ربها أن يحفظ الوليدة ابنة الأطهار الأبرار من مكائد الشيطان، وأن يحفظ ذريتها مهما امتدت عروقها، وتتابعت أغصانها وفروعها فقالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

واستجاب الله عز وجل دعاء امرأة عمران كاملاً غير منقوص، وزادها آلاء على آلاء، ولم يجعل للشيطان من ساعة ولادتها إليها من سبيل، وكفلها زكريا

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

أوحى الله عز وجل إلى نبي الله زكريا أن يقبلوا هذه الوليدة في رحاب البيت المقدس، خلاف غيرها من الإناث لخدمته، وللتفرُّغ للعبادة في جنباته، فهي طاهرة مصون مصطفاة على النساء، وهذا من استجابة دعاء الله لامرأة عمران، بأن قبل ما تمنته من انقطاع وليدها لله، ومرافقة الصالحين العابدين، ولم يقبل قبلها أنثى في هذا.

وجعل نشأتها خير نشأة في خَلْقها وخُلقها، فقد رزقها الله شكلاً جميلاً ومنظراً بهيجاً، وسلكها في سلك أهل السعادة من العبّاد والصالحين، وقرنها في طفولتها بالأولياء المتبتّلين، فلم تعرف للشر طريقاً، ولا للزيغ مدخلاً، ومن نشأ هذه النشأة الحسنة، وترعرع في هذا الجو الإيماني فأنى له إذا كبر أن ينحرف أو يزيغ؟!

ومن تمام العناية والنشأة الحسنة، والرعاية الصالحة أن كفلها زكريا وهو زوج خالتها على الأشهر، أو زوج أختها.

ودخلت مريم البيت المقدس، وقام زكريا عليه السلام بشؤونها خير قيام، فاختار لها مكاناً شريفاً وموضعاً منيفاً، سماه الحق تعالى (المحراب)، والمحراب أشرف المجالس ومقدَّمها، وقيل: أكرم موضع في المجلس، وهو موقف الإمام في الصلاة.

وأخذت مريم تتعبد وتتهجد ليلها ونهارها، وتقوم بسدانة (بخدمة) البيت إذا جاءت نوبتها، حتى صارت مضرب الأمثال، وبدأت تظهر لها كرامات وخوارق للعادات: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] إنه كان يجد فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيزداد عجباً واندهاشاً، فيسألها: يا مريم أنى لك هذا؟ فتجيبه جواب المؤمنين المتوكلين الشاكرين المتواضعين إنه من عند الله.

واستمرت مريم في إقبالها على ربها إلى أن رَقَتْ مقاماً عليّاً، فأصبحت تخاطبها ملائكة الرحمن خطاباً مباشراً جلياً، تحثها فيه على الشكر، وتهنئها على ما وصلت إليه من العبادة والذكر: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢ـ ٤٣] واصطفاؤها على نساء العالمين بأن خصها الله تعالى بما لم يؤته امرأة من النساء قبلها ولا بعدها، وذلك بأن كلّمها روح القدس وظهر لها، ودنا منها، وبلغتها الملائكة عن الله هذه البشارة والاصطفاء.

واستمرت عليها السلام في ذلك شاكرة ذاكرة، حتى حملت إليها الملائكة بشائر أُخر من رب العالمين، وهي في محراب عبادتها وكامل خشوعها وقيامها، سمعت النداء: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ـ ٤٦].

ويبشرها الله بغلام اسمه عيسى يكلم الناس في المهد وكهلاً (أي يكلم الناس في صغره رضيعاً ويكلمهم كهلاً والكهل من ٣٣ـ ٥٢ من عمر الإنسان.

واندهشت الطاهرة البتول لذلك، وهي التي لم تتزوج ولم يمسسها بشر ولم تكن زانية ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

ولما بشرتها الملائكة أقبلت على عبادتها بقلب خاشع وتوكل على الله، وقد ذهبت بها الهواجس كل مذهب، عن حالها في قومها، وكيف سيظنون بها، ولما كانت متفردة في محرابها شرقي بيت المقدس، وبينها وبين الناس حجاب كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٦ـ ١٧].

وبينما هي في هذا الاستغراق في العبادة والذكر إذ بها تفاجأ ببشر جميل الخلقة، قد اخترق الحجاب عليها ودخل موضع خلوتها، فانطلقت مستعيذة

بالرحمن لاجئة إليه أن يكفّه عنها ويقيها شره، ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. وما كان هذا المخاطب إلا جبريل روح القدس عليه السلام كما جاء ذلك صريحاً في الآيات ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٤] فَخَلْقُهُ كان آية ـ أي علامة ـ دالة على قدرة الله تعالى وتصرفه في خلقه، فقد خلق آدم من تراب من غير أب ولا أم، وخلق حواء من آدم من غير أم، وخلق عيسى من أم من غير أب، وجعل سنته في خلقه أنهم يتناسلون من الأب والأم وهو رحمة يرحم الله بها الخلائق، ممن آمن به واتبعه، فتشملهم هذه الرحمة في الدنيا والآخرة.

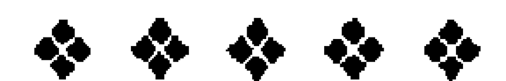
فحملت به كما تحمل النساء ولما قاربت الوضع والولادة خرجت من بيت المقدس إلى مكان قصي، حيث لا يراها الناس، ولا تدنس المكان المقدس بدم الولادة والنفاس، وجلست إلى جذع نخلة لتستتر بها، وبعد عناء وجهد، ولدت الولد المبارك، ولما رأته بين يديها حقيقة ماثلة، ذهبت بها الأفكار كل مذهب، كيف ستواجه قومها به؟ وماذا ستقول لهم؟ وكيف ستدفع عن طهارتها تُهم الأشرار وتخرصات الفجّار؟ وكيف وكيف؟ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢ـ ٢٣].

لقد تمنت الموت، لا كراهية لأمر الله وحكمه، ولا نفوراً من قضائه أو شكاً في وعده السابق وبشارتها مما سيؤول إليه أمر ابنها، ولكن خوفاً من الاتهام والبهتان والتقول عليها والافتراء وجاءها الرد يرشدها إلى التصرف السليم ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ـ ٢٦] فهزت جذع النخلة وأكلت وشربت واطمأنت، وعادت أدراجها إلى قومها، وكانت معروفة مشهورة، تحمله على رؤوس الأشهاد غير خائفة ولا وجلة، لما رأت ولمست وسمعت الخوارق والمعجزات التي ثبتتها، وبمثلها يثبت الله الذين آمنوا في كل عصر وحين.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ـ ٢٨] لقد جئت شيئاً فرياً: لقد جئت أمراً منكراً عظيماً، ويعنون به الزنا وهو من مثلها عجيب مختلق، وكيف يكون ذلك وأنت أخت هارون المعروف بالاستقامة وكذلك أبوك وأمك فما عرف عنهم إلا الطهارة والبعد عن الحنث.

فأشارت إلى ابنها، فعجبوا من أمرها، لأنه غير معروف أن الصغير في سنه يتكلم ولكن الله قادر على إنطاقه ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ـ ٣٣].

إن مريم بنت طاهرة شريفة حفظها الله تعالى في صغرها وعندما كبرت وحملت بابنها عيسى، وجعلها وابنها آية للعالمين في نشأتهما وطهارتهما وسلوكهما وسيرتهما الحافلة بالحب والبر والصلاة حتى أصبحت سيرة جديرة بالاحتذاء فالسلام على مريم وابنها إلى يوم الدين...[1] .



(١) انظر: آباء وأبناء ـ الدكتور فاروق حمادة، دار القلم ـ دمشق ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص٢٣٤...

ذكاء ابنة ابن هرمة

قال الأصمعي[1]: قال رجل من أهل الشام، قدمت المدينة، فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة[2]، فإذا ابنة له صغيرة تلعب...

قال الشامي: ماذا فعل أبوك؟

قالت الفتاة: وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا منه علم منذ مدة.

قال الشامي: انحري لنا ناقة، فإنا ضيوفك...

قالت الفتاة: والله ما عندنا..

قال الشامي :لتكن شاة... قالت الفتاة: والله ما عندنا.

قال الشامي: لتكن دجاجة... قالت الفتاة: والله ما عندنا...

قال الشامي: فأعطنا بيضة.. قالت الفتاة: والله ما عندنا...

قال الشامي: فباطل ما قال أبوك!

كم ناقة قد وَجَأْتُ منحرها بِمُسْتَهلِّ الشُّؤْبوب أو جَمَلِ[3]

قالت الفتاة: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء...[4].

---

(١) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي (١٢٥ـ ٢١٦هـ) (٧٤٢ـ ٨٣١م) لغوي ولد ومات في البصرة، درس الحديث واللغة والشعر ولقب براوية العرب. من مؤلفاته «الخيل» «الإبل» «الأضداد» «الأصمعيات».

(٢) إبراهيم بن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة، المعروف بابن هرمة: شاعر من أهل المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة /١٧٦هـ/.

(٣) وجأت منحرها: أي ضربتها بالسكين... والشؤبوب: الدفعة من المطر والمعنى: يفتخر بكثرة ذبح النوق ابتداء من فصل الشتاء أيام الجدب.

(٤) انظر: أخبار الظرف والمتماجنين ـ لابن الجوزي ـ ص ٢٣٥ـ ٢٣٦، وعيون الأخبار ـ لابن قتيبة ـ ٣/ ٢٤٩.

استغفار فتاة

مرّ الأصمعي ذات مرة على حي من أحياء العرب، فوجد طفلة لم يتجاوز سنها العاشرة، وهي تناجي ربها تبارك وتعالى وتسأله المغفرة... وكانت تقول: أستغفر الله تعالى لذنبي كله.

قال الأصمعي: يا بنية، أتستغفرين الله سبحانه وتعالى، وممّ؟ وأنت لم يجرِ عليك القلم.

قالت الفتاة:

أستغفر الله لذنبي كلّه   قتلت إنساناً بغير حلّه

مثل غزال ناعم في دلّه   انتصف الليل ولم أصلّه

فوقف الأصمعي وقد علت وجهه الدهشة! وقال: لله درّك، ما أفصحك أيتها الفتاة... قالت الفتاة: شيخ فان، وتخالط الغواني.

قال الأصمعي: لا بالله، إنما أتعجب من فصاحتك...

قالت الفتاة: يا شيخ، وهل ترك القرآن الكريم لأحد في هذه الدنيا فصاحة...

قال الأصمعي: نبهيني على آية فصيحة منه... قالت الفتاة: قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

قال الأصمعي: بارك الله فيك أيتها الفتاة. قالت الفتاة اعلم أيها الشيخ، وانظر إلى هذه الآية الكريمة حيث جمعت أمرين، وهما ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ وخبرين، وهما قد تضمنا بشارتين ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قال الأصمعي: صدقت والله، ولكن ما معنى استغفارك، وأنت لم تبلغي الحلم؟

قالت الفتاة: إني أستغفر الله تعالى من ذنبي كله، حيث قتلت إنساناً بغير حله.. وأريد أني قتلت نفسي بعدم فعل الطاعات حيث ينتصف الليل ولا أقوم بين يدي الله...

قال الأصمعي: رعاك الله تعالى يا بنيّة...

ثم مضى لشأنه...[1].

انظر أيها القارئ الكريم إلى هذه التي تدلنا بوضوح عن مدى عناية المسلمين صغاراً وكباراً بحفظ كتاب الله تعالى، وتفهم معانيه وملاحظة دقائقه وتفاصيله...[2].



(١) انظر روائع من الأدب العربي ـ أحمد نصيب المحاميد ص١٣ ـ ١٤...

(٢) انظر قصص من رياض الإسلام ـ رياض مصطفى العبد الله ـ دار النور ـ دمشق ١٩٩٦م، ص٤٥.

دعوه فهو ليس برازق

حكي أن حاتم الأصم[1] قد عزم أمره على الحج، فمضى إلى أهله كي يجهزوا متاع رحلته...

قال حاتم: يا أولادي، إني عزمت على الحج. قال الأولاد: ومتى الرحيل يا أبتِ.

قال حاتم: مع الفجر غداً إن شاء الله تعالى. فبكى الأولاد بكاء شديداً، ثم التفتوا إلى أبيهم..

قال الأولاد : يا أبتاه تمضي إلى الحج ولا تبالي، فإلى من تكلنا؟!

وكان من بين أولاده ابنة صغيرة، فنظرت إليهم وقالت: دعوه، فليس هو برازق...

ورحل حاتم في صباح اليوم التالي، فبات أطفاله جياعاً، وجعلوا يوبِّخون الابنة الصغيرة...

وقفت الطفلة الصغيرة، ورفعت إلى السماء يديها. وقالت: اللهم لا تخجلني بينهم... لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لهم خطأهم وجهلهم وإسرافهم في أمرهم، وما أنت أعلم به منهم... اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت... يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث...

---

(١) حاتم الأصم: هو حاتم بن عنوان، زاهد اشتهر بالورع. اجتمع بأحمد بن حنبل في بغداد، قيل فيه: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة، توفي سنة/٢٣٧ـ هـ.

ومن ثم مرَّ بهم أمير البلد، وطلب ماء، فناوله أهل حاتم كوزاً جديداً وماء بارداً، فشرب... ثم التفت إلى من كان معه...

قال: دار من هذه؟ قالوا: دار حاتم الأصم... فأعطى أهل البيت كيساً فيه نقود ذهبية... ثم التفت إلى من معه...

قال الأمير: من أحب فعل الخير، فليعمل مثل ما عملت... فأعطى كل من كان معه مثل ما أعطى هو لأهل بيت حاتم الأصم...

فجعلت الابنة تبكي... فالتفتت أمها إليها تتساءل عن سبب بكائها...

قالت الأم: يا بنيّة ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟

قالت الابنة: ذاك مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر خالق السموات والأرض إلينا...[1].



(١) انظر: قصص من رياض الإسلام: رياض مصطفى العبد الله، دار النور، دمشق ١٩٩٦م، ص٤٨.

السقيا يوم القيامة

قال ذو النون المصري[1]: كنت في البادية قاصداً مكة، فغلبني العطش فملت إلى حي بني مخزوم، فرأيت جارية صغيرة حسناء وهي تترنم بالأشعار، فعجبت منها لصدور ذلك عنها وهي من جملة الصغار...

قال ذو النون: يا هذه، أما فيك حياء؟ قالت: إني شربت البارحة بكأس الحب مسرورة، فأصبحت اليوم في حب مولاي مخمورة...

قال ذو النون: أراك حكيمة، فأوصيني يا جارية بوصية...

فقالت: يا ذا النون، عليك بالسكوت، والرضا من الدنيا بالقوت، حتى تزور في الجنة الحي الذي لا يموت...

قال ذو النون: هل عندك ماء؟ قالت الجارية: أنا أدلك على الماء...فظن ذو النون أنها تدلُّه على بئر ماء أو عين... فقال: نعم...

قالت الجارية: يا ذا النون، إن الناس يُسْقَوْن يوم القيامة على أربع مراتب...

١ـ فرقة تسقيهم الملائكة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

٢ـ وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧].

٣ـ وفرقة تسقيهم الولدان المخلدون، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧].

٤ـ وفرقة يسقيهم المولى جل جلاله وهم الخواص من عباده، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

قال ذو النون: بارك الله تعالى فيك من فتاة ورعة صالحة[2].

---

(١) ذو النون: أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم كان عالماً ورعاً عاش في زمن المتوكل.

(٢) انظر روض الرياحين في حكايات الصالحين ـ لأبي السعادات اليمني ص ٤٤٦.

بنت نبي هذه الأمة

كانت السيدة خديجة بنت خويلد[١] ـ رضي الله عنها ـ تحدِّث ابنتها زينب[٢] ـ رضي الله عنها ـ عن نزول الوحي على أبيها ﷺ وهو يتعبد في غار حراء، وكانت زينب رضي الله عنها تسمع بلهفة وشوق دون أن تحير جواباً، ذلك أن هذا الأمر هو أكبر من أن تدركه وتبلغ مداه..

وبينما هي سابحة ساكنة تراودها الأفكار، فإذا بأختها فاطمة [٣] ـ رضي الله عنها ـ تخاطبها قائلة: يا زينب أوما يسرك يا أختي أنك بنت نبي هذه الأمة؟

نظرت زينب ـ رضي الله عنها ـ إلى أختها فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: وقد أخذتها الدهشة من سؤالها وهي ابنة تسع سنين، قالت زينب أجل والله يا فاطمة، وأي فتاة لا يزدهيها ذلك الشرف الذي ما بعده شرف... لكنه الذي سمعتُ وسمعتِ من قول خالي[٤]، ليكذبنَّ أبي، وليوذينَّ ملياً، وليخرجنَّ، وليقاتلنَّ.

ففكرت فاطمة ملياً، وقد عزَّ عليها أن يُؤذى أبوها، ثم رفعت وجهها وقالت لأختها: هو ما قالت أمي لأبي... الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا بن عمي واثبت، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...

---

(١) خديجة بنت خويلد: بن أسد بن عبد العزى بن قصي: القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ وأول من صدق به، وكانت تدعى قبل البعثة ـ الطاهرة ـ لها أخبار كثيرة توفيت بمكة قبل الهجرة.

(٢) زينب: بنت رسول الله ﷺ، أسلمت وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، وتوفيت في أول سنة /٨هـ/.

(٣) فاطمة: بنت رسول الله ﷺ، ولدت قبل البعثة بقليل، وهي أصغر بنات النبي ﷺ، وتزوجت علي بن أبي طالب، وأنجبت له البنين والبنات توفيت سنة /١١هـ/.

(٤) أي ورقة بن نوفل: وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، قرأ الكتب وتنصر وبشر برسول الله ﷺ.

وابتسمت السيدة زينب رضي الله عنها، وكذلك فعلت فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وكانت رضي الله عنها مثال المرأة المجاهدة فيما بعد[1].



ابن المبارك والبنت الفقيرة

حكي أن عبد الله بن المبارك[2] خرج إلى الحج مع جماعة، وبعد سير مرحلة، خرج في الصباح من الخيمة، فوجد صبية أتت إلى قرب الخيمة، وأخذت دجاجة ميتة ومضت بها...

فتتبعها، فوجدها دخلت خيمة مهلهلة وفي الخيمة طفل صغير...

فبادر عبد الله بن المبارك الفتاة الصغيرة بالكلام قائلاً: لم أخذت الدجاجة؟

قالت الفتاة: هي ميتة وأنتم ميتون...

قال عبد الله: ألم تعلمي أنه لا يحل أكل الميتة؟

قالت الفتاة: إنها تحل لنا لشدة الفقر، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال عبد الله: بارك الله تعالى فيك أيتها الفتاة... ثم خرج وذهب إلى وكيله...

وقال له: ما معك؟ قال الوكيل: ألف دينار.

قال عبد الله: أمسك منها ما نعود به إلى بلدنا، وادفع للفتاة الباقي وسنحج العام المقبل[3].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ـ ١/ ٢٧٤، وتاريخ الطبري ٢/٢٠٧.

(٢) عبد الله بن المبارك: أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد، صاحب التصانيف والرحلات. جمع الحديث والفقه كان من خراسان ومات في بهيت على الفرات. وهو منصرف إلى غزو الروم.

(٣) انظر من كنوز الإسلام. محمد فائز المط ص ٢٠٩.

فتاة تخشى الله...

روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، كان يجول في المدينة، فمشى حتى أعيا، فاتكأ إلى جدار للراحة، فسمع امرأة تقول لابنتها الصغيرة: يا بنية قومي إلى ذلك اللبن، فاسكبي عليه الماء.

قالت الفتاة: يا أماه، أوما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين هذا اليوم؟

قالت الأم: وما كان من عزمته؟

قالت الفتاة: قد أمر منادياً ينادي، أن لا يشاب اللبن بالماء.

قالت الأم: يا بنية، افعلي ما آمرك به، فإنك بموضع لا يراك فيه عمر، ولا منادي عمر...

قالت الفتاة: والله، ما كنت لأطيع أمر أمير المؤمنين في الملأ وأعصيه في الخلا...

إن لم يرني عمر، فربُّ عمر يراني...[2].



(١) عمر بن الخطاب: (ت٢٣هـ، ٦٤٤م) ثاني الخلفاء الراشدين (١٣ـ ٢٣هـ) وأول من لقب بأمير المؤمنين، يضرب بعدله المثل، أنشأ «الديوان» ومصر الأمصار وأرخ بالهجرة، واتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده.

(٢) انظر روض الرياحين في حكايات الصالحين لأبي السعادات اليمني ص ٢٤١ـ ٢٤٢.

مالك بن دينار وابنته الصغيرة

روي عن مالك بن دينار أن سئل عن سبب توبته فأجاب:

ـ كنت شرطياً، وكنت منهمكاً على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة، ووقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً، فشغفت بها.

فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً، وألفتها، فكنت إذا وضعتُ المسكر بين يدي، جاءت إلي، وجاذبتني عليه، وهرقته بين يدي على الأرض فلما تم لها سنتان ماتت، فأكمدني حزنها، فلما كان ليلة النصف من شعبان، وكان ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر، فلم أصلِّ فيها عشاء الآخرة، فنمت، فرأيت فيما يرى النائم، كأن القيامة قد قامت، ونفخ في الصور، وبعثرت القبور، وحُشر الخلائق، وأنا معهم، فسمعت حساً من ورائي، فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون، أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة، فسلَّمت عليه... فردَّ السلام.

فقلت: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله... فبكى الشيخ.

ثم قال أنا ضعيف، وهذا أقوى مني ولا قدرة لي عليه، ولكن مرَّ وأسرع، فلعل الله تعالى أن يتيح لك ما ينجيك منه...

فولى مالك هارباً من وجهه، وصعد على شرفة من شرف القيامة، وأشرفتْ عليه طبقات النيران، فنظر إلى هولها حتى كاد أن يقع فيها من فزعه من التنين، فصاح به صائح: ارجع فلست من أهلها... فاطمأن إلى قوله، ورجع، فرجع التنين في طلبه، فعاد مالك إلى الشيخ وخاطبه.

قال مالك: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين، ولكنك لم تفعل فبكى الشيخ مرة ثانية وقال: أنا ضعيف... سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك...

يقول مالك: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرّمة، وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت، مكوكبة بالدر، وعلى كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل، ولّيت هارباً إليه، والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة:ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع (الأبواب) وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه... فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف عليَّ من تلك المخرمات أطفال بوجوه الأقمار... واقترب التنين مني، فتحيرت في أمري... صاح بعض الأطفال، ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه... فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم... فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله.. ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم، حتى إذا مثلت بين يدي، فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين، فولى هارباً... ثم أجلستني وجلست في حجري، وضربت يدها اليمنى على لحيتي وقالت: يا أبت ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

قال مالك: فأخبريني عن ذلك التنين الذي أراد أن يهلكني؟

قالت الطفلة: ذلك عملك السوء قويته، فأراد أن يغرقك في نار جهنم..!!

فقلت: فأخبريني عن ذلك الشيخ الذي مررت به في طريقي، وقد سألته النجاة...

قالت الطفلة: يا أبت، ذلك عملك الصالح، أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء...

قال مالك: يا بنية، ما تصنعون في هذا الجبل؟

قالت الطفلة: نحن أطفال المسلمين، قد أُسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا، فنشفع لكم...

يقول مالك، فانتبهت فزعاً وأصبحت فأرقْتُ المسكر، وكسرت الآنية، وتبت إلى الله عز وجل... وهذا كان سبب توبتي...[1].

---

(١) انظر: كتاب التوابين ـ لابن قدامة المقدسي ـ ص٢٢٠ـ ٢٢٢.

ـ وفي هذا الباب، روى مسلم في صحيحه[1]، أن رجلاً قال لأبي هريرة رضي الله عنه: إنه مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم..«صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال: أبويه، فيأخذ بيده ـ أو قال: بثوبه، فلا يتناهى حتى يدخله الله وأباه الجنة».

والمعنى: أي صغار أهل الجنة، وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه أي: أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها، يتلقى أبويه، فلا يتركهما حتى يدخله الله معهما في الجنة...

وفي رواية أنه ﷺ قال: «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار» وفي هذا الباب أحاديث كثيرة...



(١) رواه مسلم برقم (٢٦٣٥).

الفتاة وهارون الرشيد

قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة، يريد الخروج إلى مكة، خرجتُ معه، فلما صرنا على شفير الوادي، إذا أنا بصبية صغيرة السن، تحمل قصعة لها، وهي تنشد:

قالت الفتاة:

طحنتنـا طـواحن الأعـوام ورمتنـا نوائـب الأيـام
فأتينـاكمو نمـد أكفنـا لفضـالات زادكـم والطعـام
فـاطلبوا الأجـر والمثوبـة فينـا أيهـا الزائـرون بيـت الحـرام
مـن رآني فقـد رآني ورحلـي فـارحموا غـربتي وذل مقـامي

فرجع الأصمعي إلى أمير المؤمنين الرشيد ليبلغه ما رآى وما سمع...

قال الأصمعي: يا أمير المؤمنين، رأيت صبية على شفير الوادي تنشد شعراً.. وأنشده ما قالت... فتعجب الرشيد من مقالتها.

قال الأصمعي: أفآتيك بها؟

قال الرشيد: لا، بل نحن نذهب إليها...

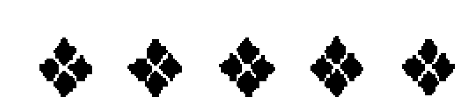
فمضوا إلى الفتاة...

قال الأصمعي: أنشدي أمير المؤمنين ما كنت تقولينه...

فأنشدته ولم تهبْه...

قال الرشيد: بارك الله فيك يا فتاة.

ثم أمر بأن تملأ قصعتها دنانير...[1].



(١) انظر كتاب الأذكياء ـ لابن الجوزي ص(٢٥٨ـ ٢٥٩).

ذكاء فتاة

رُوُيَ أن فتاة حديثة السن جاءت إلى مكة المكرمة مع أهلها...

فجاء صديق لأبيها، وقد أراد أن يمتحن قدرتها على الإجابة... فحاورها...

قال الرجل: إني أريد أن أسألك؟ قالت الفتاة: هات ما لديك..

قال: كاد أن...؟ قالت الفتاة: يكون المنتعل راكباً...

قال: كاد أن...؟ قالت: يكون الفقر كفراً...

قال: كاد أن...؟ قالت الفتاة: تكون النعامة طائراً.

قال: كاد أن...؟ قالت الفتاة: يكون الدعاء منقطعاً لولا رحمة رب العالمين...

قال: كاد أن...؟ قالت الفتاة: يكون الحاكم ظالماً لولا كتاب الله وسنة نبيِّه...

قال: كاد أن...؟ قالت الفتاة: يعمَ البلاء الثقلين، لولا شريعة الإسلام...

قال: كاد أن ...؟ قالت الفتاة: يأتي الظلام، فنطوي الليل ولا نأكل مما لديك من أطايب الطعام.

فضحك الرجل وقال: بارك الله فيك يا بنية، فإن لك لساناً فوقه عقل وعقلاً فوقه ذكاء، وذكاء فوقه حزم...

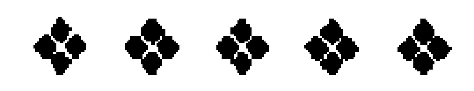
قالت الفتاة: هل لي أن أسألك أنا...؟ قال الرجل: هاتِ ما عندك.

قالت الفتاة: عجبت...؟ قال الرجل: للسباخ لا ينبت كلؤها، ولا يجف ثراها.

قالت: عجبت...؟ قال الرجل: للحجارة لا يكبر صغيرها، ولا يهرم كبيرها.

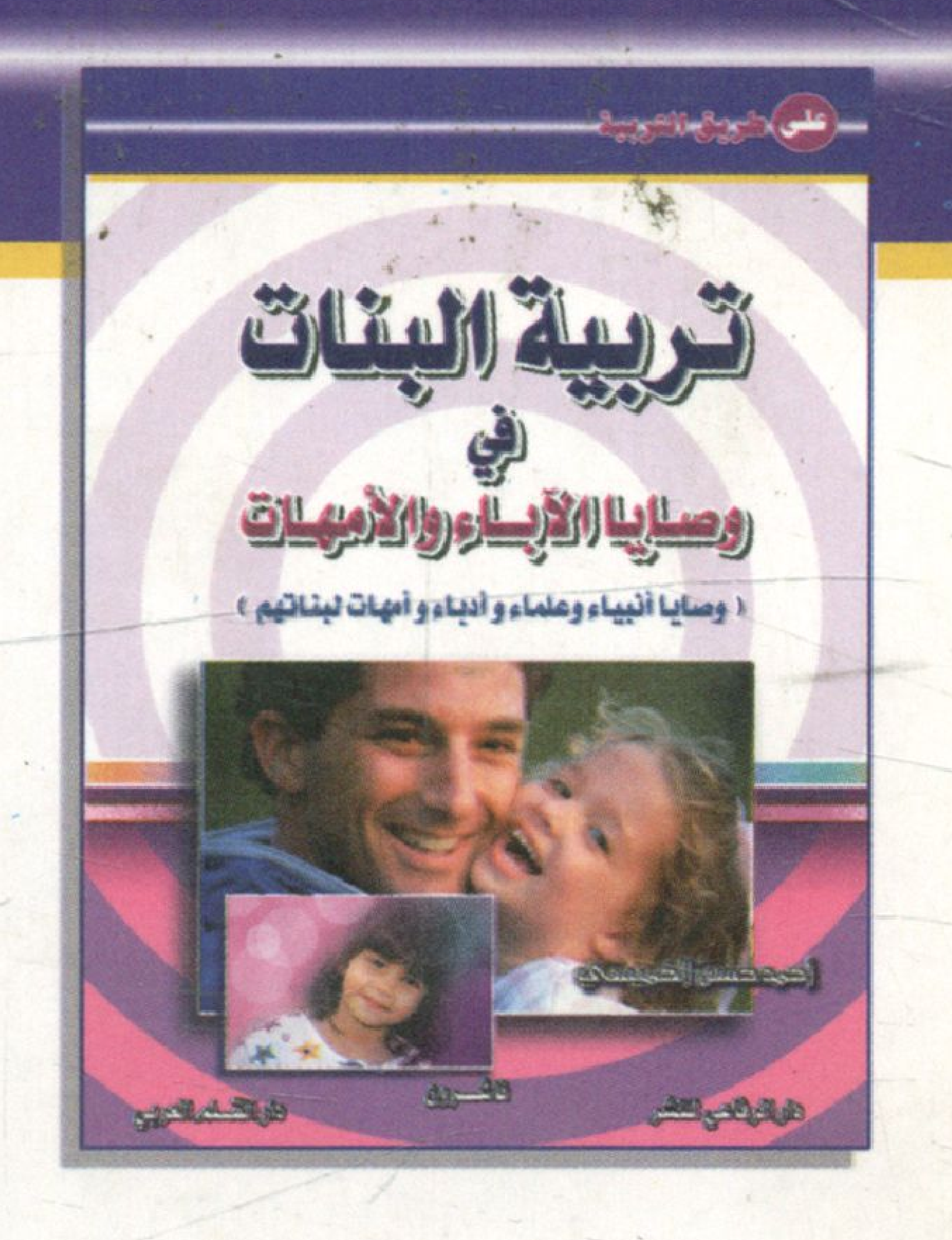
قالت عجبت...؟ قال الرجل: للكلام لا نهاية له...

قالت: بل له نهاية... ثم قامت وانصرفت لشأنها...[1].



(١) انظر: عيون الأخبار ـ لابن قتيبة ـ ٢/ ٢١٤.

المحتوى





إن قارئ هذا الكتاب سيجد فيه الكثير عن تربية البنات
و العناية بهن .
وهو دليل و رائد لكل الفتيات اللواتي ينشدن مستقبلاً زاهراً
باهراً . وذلك من خلال وصايا كريمة صادرة
عن أنبياء مرسلين وعلماء مبجلين وأدباء مفوهين...





